الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
المركز الجامعي
العقيد أكلي محند اولحاج
البويرة

معهد الاداب و اللغات
قسم اللغة العربية

صورة الطبيعة في شعر الشابي

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة
الليسانس في الأداب و اللغات
قسم اللغة العربية

من إعداد الطلبة:

- بتروني صبيحة
- عالم نعيمة

تحت إشراف الأستاذ:
يعقوب

السنة الجامعية 2011/2010

إهداء

الحمد لله الذي أعاننا بالعلم، زيننا بالحلم، أكرمنا بالتقوى، و أجملنا بالعافية.
أتقدم بإهداء عملي هذا :
إلى اعز الناس على قلبي أبي وأمي
أطال الله في عمرهما و أدامهما تاجا فوق رأسي
إلى أخواتي :حفيظة ، نسيمة ، حنان ، نوال
و مالية التي أتمنى لها كل التوفيق و النجاح
إلى أخواي : وليد و محمد
إلى من وجدته دائما إلى جانبي : حسين
إلى روح جدتي و خالي الطاهرتان رحمهما الله
إلى جدتي لجوهر أطال الله في عمرها
إلى جداي الكريمين
إلى خالتي و أخوالي خاصة فتيحة ، فريدة ، عائشة
إلى عماتي و أعمامي خاصة فايزة
إلى ابنة خالتي دلال و زوجة خالي نورة
إلى صديقاتي نعيمة و حفيظة و نجاة و نوال
إلى الأستاذ المشرف يعقوب الذي اشكره على كل شيء
إلى كل من علمني حرفا
لهؤلاء جميعا اهدي ثمرة جهدي المتواضع .

صبيحة

إهداء:

كم هي الحياة جميلة ، وكم هو الوفاء أجمل حينما يكون موجها
إلى أغلى الناس ، إلى من قال فيها المصطفى صلى الله عليه وسلم

" الجنة تحت أقدام الأمهات "

إلى الغالية أمي
إلى مثلي الأعلى و سندي الذي لم يبخل علي بدعمه
إلى أبي الغالي
إلى أختاي : نصيرة و صليحة
إلى إخوتي : قاديرو و كمال و خاصة عصفور بيتنا أخي الصغير فرحات
إلى جداي و جداتاي اللذان أتمنى لهما طول العمر
إلى خالاتي و أخوالي جميعا ، خاصة بلعيد
إلى كل صديقاتي اللواتي رافقتني خلال المشوار الدراسي :
سهام ، حفيظة ، نوال ، نجمة .نجاة.مالية
إلى أستاذي المشرف يعقوب
إلى كل من يحمل محبة في قلبي و عجز عن نثرها قلمي
إلى كل هؤلاء ، اهدي هذا العمل المتواضع .

نعيمة

مقدمة :

الشاعر في كل مكان و زمان يعبر عن همومه و مشاكل مجتمعه ، متخذا عدة أساليب لتوصيل فكرته و التعبير عن قضاياه ، فاعتبر بذلك الشعر وسيلة يلجأ إليها الشاعر لنقل حالاته النفسية و مشاهد العصر الذي يعيش فيه ، و من أبرز السمات الفنية التي وجدت في الشعر الحديث ، لجوء الشاعر للطبيعة ، فكانت هذه الظاهرة الفنية ملفتة للانتباه ، دعت الكثير للاهتمام بها و دراستها ، و الطبيعة مظهر من مظاهر المذهب الرومانسي ، و كثير من الشعراء لجاؤا في أشعارهم إلى توظيف الطبيعة ، كل حسب نظرته و شعوره اتجاهه الفني ، و من بين هؤلاء الشعراء شاعر تونس أبي القاسم الشابي .

اختيارنا لموضوع الطبيعة في شعر الشابي يرجع إلى أن الطبيعة موجودة حاضرة في كل قصائده ، و الطريقة التي تناول بها مظاهر الطبيعة متميزة و مختلفة عن الشعراء الآخرين ، لذا حاولنا دراسة هذا الموضوع لنكشف سر هذا التميز في تناول و توظيف مظاهر الطبيعة و مصدره.

أما اختيارنا لشخصية الشابي فالسبب الأول يعود لتميزه و تفرده بين شعراء جيله ، فبرغم قصر عمره إلا أنه خلد اسمه بين كبار الأدباء ، و ترك بصمته واضحة في الأدب العربي ، و السبب الثاني يرجع إلى هيمنة مظاهر الطبيعة في أشعاره .

و الإشكالية المطروحة في بحثنا تتمثل فيما يلي : كيف صور الشابي الطبيعة ؟ و كيف وظفها في أشعاره ؟ هل هو نفس التناول المعروف للطبيعة ؟ أم تناولها بشكل جديد مختلف ؟ للإجابة عن هذه التساؤلات، قسمنا بحثنا إلى ثلاثة فصول، بحيث تناولنا في الفصل الأول صورة الطبيعة المثقلة بالألم و الكآبة.

و يندرج تحته عنصرين:
- مرارة الموت. - الكآبة المجهولة.
في الفصل الثاني تحدثنا عن صورة الطبيعة المشحونة بالغضب و التحدي .
و يندرج تحته عنصرين هما :
- الغضب الاجتماعي. - التمرد السياسي
أما الفصل الثالث فتناولنا فيه صورة الطبيعة المفعمة بالتفاؤل و الإشراق.
و يتضمن :
- الرؤية التقديسية للغاب. - تجربة الحب.
و أخيرا الخاتمة التي عرضنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها ، و المنهج الذي اعتمدناه هو المنهج النفسي لأنه الأنسب لصبر أغوار شخصية الشاعر .
و يعود اختيارنا لهذا المنهج لتداخل مشاعر الشابي مع مظاهر الطبيعة و قد اعتمدنا في بحثنا هذا على مصادر مراجع أهمها :
- الأعمال الكاملة ج1 و ج2 لأبي القاسم الشابي
- ديوان أغاني الحياة للشابي
- الشابي حياته و شعره لأبي القاسم محمد كرو
- دراسات عن الشابي ، أبو القاسم محمد كرو
و أخيرا نتمنى أن نكون قد وفقنا و لو قليلا في بحثنا هذا.

التمـهيد:

لما كان الأدب وسيلة للتعبير عما يختلج في صدر الإنسان من مشاعر و عواطف بصورة رائعة و مدهشة فإنه من الضروري أن تكون هناك اتجاهات مختلفة لدى الأدباء و الشعراء ، وهذا راجع إلى تباين الحالات النفسية و الظروف الاجتماعية و السياسية ، فهذه الظروف هي التي توجه الشعراء و الكتاب و تجعلهم يسلكون مذاهب مختلفة ، كما تجعلهم يعبرون عن أحاسيسهم بأساليب مشوقة و متنوعة وفقا لما تقتضيه الظروف و الأحوال و العوامل الاجتماعية و السياسية و الثقافية .

و عليه فإن الاتجاهات و المذاهب الأدبية عرفت عند الشعراء و الأدباء الأوائل لكنها لم تكن معروفة بالشكل الذي هي عليه في عصرنا الحالي و إذا أردنا أن نعرف الاتجاه الأدبي فإننا نعرفه بأنه " مذهب تعبيري له خصوصيات في المضمون و الأسلوب ينضوي تحته أعلام من الأدباء يطبقون أصوله و يرفدونه بخصوصياتهم تأثرا و تأثيرا "[1] و من المذاهب الأدبية الكبرى نجد الرومانسية التي جاءت كرد فعل للكلاسيكية .

" و من هنا كان الاتجاه إلى الرومانسية ليس مجرد تعبير عن مذهب أدبي ، بل هي تعبير عن نظام اجتماعي و موقف ثقافي عام و هو مرتبط بمبادئ الثورة الفرنسية عام 1789 التي تدعو إلى التحرر و الإخاء و المساواة " [2].

وتعد أوربا المهد الأول للمذهب الرومانسي، فقد ظهرت هناك نتيجة لظهور الآداب القومية و ما حدث بينها و بين اللاتينية معارضة.

وقد شجع على ظهورها كذلك ميل الكثير من الأدباء، ورغبتهم الملحة إلى التغيير و الخروج عن المألوف.

" إن مدلول لفظة الرومانسية أنها مشتقة من كلمة رومانيوس أطلقت على اللغات و الأداب التي تفرعت عن اللغة اللاتينية القديمة و التي كانت تعتبر في القرون الوسطى كلهجات عامية للغة روما القديمة أي اللغة اللاتينية " [3].

و قد اختار الرومانسيون هذه اللفظة (الرومانسية) عنوانا لمذهبهم من أجل المعارضة بين ثقافتهم القومية و بين الثقافة الإغريقية و اللاتينية.

" و الرومانسية في بادئ الأمر ظهرت في البلدان الغربية و اصطلحو على تسميتها ب ROMANCE بمعنى القصة الخيالية " [4]" و هي مشتقة من كلمة رومانيوس التي أطلقت على اللغات و الآداب التي تفرعت عن اللاتينية ، و بالنسبة إلى الفرنسيين فقد استعملت على غير معنى و على حقب تاريخية متباعدة لكنها حافظت على معنى الحنين و الحزن ، و في الانكليزية حملت معاني الخيال و المغامرة " [5].

---

[1] - محمد أحمد ربيع : في تاريخ الأدب العربي الحديث ، دار الفكر الأردن ط2 ، 2006 ، ص 91.

[2] - عبد العاطي شلبي : فنون الأدب الحديث بين الأدب العربي و الأدب الغربي ، المكتب الجامعي مصر ، ط1، 2005، ص 8.

[3] - محمد أحمد ربيع : في تاريخ الأدب العربي الحديث ، ص 92.

[4] - مجدي وهبة: معجم المصطلحات العربية في الأدب، مكتبة لبنان، 1984، ص 461.

[5] - يوسف عيد: المدارس الأدبية و مذاهبها القسم النظري، دار الفكر اللبناني ط1، 1994، ص 76.

و أول من استعمل كلمة رومانسي بالمعنى الاصطلاحي جونسون فقد وردت في كتاباته النقدية بمعنيين أولهما للذم في قوله : (سخافات رومانسية و خرافات لا تصدق) و ثانيهما للمدح وذلك في قوله :(عندما ينشر الليل جناحيه على مشهد رومانسي يخيم معه الهدوء و الصمت والسكينة) و استعملها كذلك جون جاك روسو في روايته (هلويز الجديدة) و قد عنى بها "الجمال السحري الذي لا يفسر " [6].
تعددت الآراء و اختلفت في مجال تعريف الرومانسية فهناك رأي قائل بأن " الرومانسية والرومانتيكية كله يقع تحت مصطلح واحد ألا وهو ROMANTICISM و يراد بها التعبير عن حالة نفسية من شعور و انفعالات و أحاسيس ، وعدم القناعة بما يمليه العقل و الحكمة و الإفراط في الاهتمام بالذات و الرغبة في الهروب من الواقع الحاضر " [7].
و هناك من الأدباء من فرق في معانيها و أفرد لكل مصطلح مما سبق ذكره تعريفا خاصا به.
و قد اصطلح فيما بعد على تحديد الرومانسية باعتبارها : " تيار برز في أوربا انطلاقا من القرن الثامن عشر في انكلترا و ألمانيا ثم خلال القرن التاسع عشر في فرنسا و ايطاليا و اسبانيا " [8] وهذا يعني أنها تحددت كمذهب أدبي في مطلع القرن التاسع عشر و هي تعني في طابعها العام الثورة على تقاليد المذهب الكلاسيكي التي مجدت العقل و تمسكت بكل ماهو قديم " محاكاة القدامى " .
أما في تعريفها الاصطلاحي فهي " رفض التنكر للأنا و الإعلاء من شأن العاطفة و الانطلاق مع الخيال و الاندفاع مع الأحاسيس و الأحلام و التقديس الكبير للألم إلى حد التلذذ به ، فجعلوه أسمى درجات العاطفة بالإضافة إلى صدق الشعور الوطني القومي و الحنين إلى الماضي أي لجوء إلى ذكرياته إلى درجة تمنيه البقاء في الماضي و أحداثه ، و ابتعاد عن حاضره و مستقبله و التعاطف مع الطبيعة باعتبارها مصدر إلهامه لا سيما الطبيعة العذراء أو البكر ، كما أنها تنزع في بعض اتجاهاتها إلى الفرح و الغبطة و السرور و الاندفاع في لجج اللذة و مراقي النشوة " [9] .
و مهما اختلفت و تعددت معاني الرومانسية فإنها تبقى في الأدب ذلك المذهب الأدبي الذي ظهر للوجود مع نهاية القرن الثامن عشر و بداية القرن التاسع عشر في كل من انجلترا و ألمانيا وفرنسا حتى شمل العالم بأكمله و كانت تبرز الخيال الإبداعي و التعبير الذاتي و الولع بالطبيعة موضوعا للأدب و معيار الجودة .
ومن كل هذا نستنتج أن " الرومانسية ليست مجرد تعبير عن مذهب أدبي و إنما هي تغلغل في الذات الفردية و الإبحار في أعماق الوجدان من مشاعر و عواطف جياشة وصولا إلى البحث فيما يحيط الإنسان من طبيعة بمناظرها الخلابة كما نجد الهروب من الواقع و تجاوزه إلى عالم آخر و هو عالم الخيال و ذلك يتجسد في أحلام اليقظة لكي يجد السعادة و المتعة المفقودة في الواقع " [10] .
تتسم الرومانسية بخصائص و مميزات صاغتها على شكل قالب فني مميز ، أو كحلة جديدة لبسها الأدب لتعتلي أسمى المراتب و من بين هذه الخصائص نجد :

أ- الخيال و الصورة عند الرومانسيين:

أصبح للخيال أهمية عظيمة باعتبار العالم الشعري عالم المعرفة بالحقائق[11] فلم تكن له أهمية تذكر في المفهوم الكلاسيكي و ذلك لأن الشاعر الكلاسيكي لم يبحث عن المجهول بمقدار ما كان يراعي الصقل و الترتيب و المحافظة على النظام و تصوير الواقع كما هو دون اللجوء إلى الخيال [12].
" و يعتبره كلوريدج السبيل الوحيد للخروج من عالم الحقيقة إلى عالم الأوهام" فقسمه إلى نوعين:

1. الخيال الأولي وهو العقل المتناهي لعملية الخلق .

---

[6] - إبراهيم خليل : مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث ، دار المسيرة الأردن ، ط1 ، 2003 ، ص 117.
[7] - مجدي وهبة : معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب ، ص 189.
[8] - جبور عبد النور : المعجم الأدبي ، دار العلم للملايين لبنان ، ط1 ، 1979، ص 131.
[9] - عزت محمد جاد: نظرية المصطلح النقدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب 2001، ص 251.
[10] - حلمي مرزوق : تطور النقد و الفكر الأدبي الحديث في الربع الأول من القرن العشرين ، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر ، ص 77.
[11] - محمود الربيعي: في نقد الشعر، دار غريب القاهرة، ص 93.
[12] - سعيد الورقي : لغة الشعر العربي الحديث ، دار المعرفة للطباعة و النشر ، ص 76.

2. الخيال الثانوي هو عرفي صدى للخيال الأولي وهو بذلك يقصد عملية الهدم و البناء أي يحطم لكي يخلق من جديد " [13]

" فالخيال يلعب دور كبير بحيث يوجد الرؤيا و يجسد المشاعر و الأحاسيس، و يجعلنا نرى الأشياء في صورة متكاملة و كأننا نشاهدها في الطبيعة كما يعمل على تشكيل الصورة الفنية فالصورة بدون خيال لا حياة فيها " [14].

ب- العاطفة (الحب و الألم):

التي على أساسها بنى الرومانسيون فلسفتهم في الجمال و الأدب و ذلك على غرار الكلاسيكية التي مجدت العقل و بنت عليه فلسفتها " [15].

إن التجربة الرومانسية تخطت العقل في معظم أثارها و سفهته و استبدلته بالعاطفة و الشعور ، و سلمت القيادة للقلب باعتباره منبع الإلهام ، و الهادي الذي لا يخطئ فهو موطن العاطفة والشعور و اعتبرت الشعر فيضا تلقائيا من العواطف و المشاعر ، كما لو أنه تغريد طائر أو خرير ماء أو دوي رياح ، يصدر من الشاعر عفويا لا عن صيغة معتمدة و لا عن نشاط ذهني و ضابطه السليقة أو الطبع و الإحساس المرهف " [16] و ذهبوا إلى اعتبار أن أروع القصائد ما كان أنات خالصة أو عبارات صافية فالرومانسيون أطلقوا العنان للعاطفة و جعلوها الإله المقدس المطلق فهي الباعثة للشعر و المحركة لأفكار الشاعر .

لقد اتفق الرومانسيون على تقديس الحب حيث اعتبروه وسيلة للتسامي و فضيلة من أسمى الفضائل ، فالحب إلا من خلال الحب و قد تحول عندهم في كثير من الأحيان إلى مثل أعلى ، ومن هنا ذهبوا إلى تقديس المرأة فاعتبروها ملاكا هبط من السماء و كائنا مثاليا يقول عنها بودلير في أزهار الشر : " إنها ملاك مدثر بالسعادة و الفرحة و الأضواء " [17].

الشاعر الرومانسي يجد سعادته في ظلال الحب إذا ما كربته الحياة بالتعاسة و يرى الطبيعة كلها ممثلة في حبيبته و حبيبته أيضا ممضلة في الطبيعة و عاطفة الحب عند الرومانسي تضم العالم و الكون كله بطبيعته و أحبائه فهو يرى نفسه جزءا من هذا الوجود و يرتكز الوجود في صورة المرأة فهي الطبيعة المبدعة التي يستريح إلى صدرها و تمسح عنه ألامه .

و الحب مرتبط ارتباطا وثيقا بالألم و قدس الرومانسيون الألم مثل تقديسهم الحب فمزجوا اللذة بالألم يقول شيللي : " أعذب أغانينا تلك التي تحكي أكثر المعاني حزنا "[18] .

قدس الشاعر الرومانسي الألم إلى حد العبودية ، فالألم عندهم هو الذي يفتح كوى النفس و يعلم الإنسان و يعرفه الحقيقة و يكتشف له عالم الروح كما أن الإحساس بالألم لدى الرومانسي هو السبيل لمعرفة الله و السبيل إلى معرفة حكمة الحياة و عدالتها ، كما أن الألم عندهم حافز للتفكير في حياتهم و ما حولهم .

ج- الطبيعة:

تعد هي الأخرى من أهم خصائص الرومنسية فهي بمكانة العاطفة في الأهمية ، و هي عند الرومانسيين تعتبر ذلك المهرب الذي يبثون فيه أحزانهم ، فيه يناظرون بين أحاسيسهم ومناظرها و فيه يتخيلون مخلوقات وأرواح تبادلهم المشاعر ، فهي تحب و تكره لهذا نرى الرومنسيين يخاطبون الأشجار و الأنهار و الأزهار و النجوم و أمواج البحر " [19].

و هي ذلك الملاذ الذي يعيد الرومنسي إلى عهد البداوة ، عهد البراءة و الخير ، و يبعده عن الواقع ، عن المجتمع مليء بالأحقاد و الشر ، و الطبيعة هي الرحم الكريم يعطي الحبة بمئة حبة ، و هي كذلك الصديق للحب و المحبين و هي ملجأ الروح المعذبة التي تجد فيها الراحة والاطمئنان يقول لامارتين في الوادي : " و لكن هاهي الطبيعة تحبك و تدعوك ...ألق بنفسك في أحضانها المفتوحة دائما ، و دعها تغمرك بحنانها

---

[13] - حمدي الشيخ: جدلية الرومانسية و الواقعية في الشعر المعاصر، ط1، 2005، ص 174.

[14] - نفسه ، ص 175.

[15] - هلال محمد غنيمي : الأدب المقارن ، نهضة مصر للطباعة مصر ، 2001، ص 32.

[16] - سلام محمد زغلول: النقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهات رواده منشأة المعارف الإسكندرية، ص 125.

[17] - إبراهيم عبد الرحمن : الأدب المقارن بين النظرية و التطبيق ، الشركة المصرية للنشر ، ط$_1$ ، 2000، ص 41.

[18] - سلام محمد زغلول : النقد الأدبي الحديث ، أصوله و اتجاهات رواده ، ص 126.

[19] - سلام محمد زغلول:النقد الأدبى الحديث ، ص 41.

فإذا ما وجدت أن كل شيء قد تغير بالنسبة لك فاعلم أن الطبيعة ستظل كما هي ...و نفس الشمس ستظل تشرق في كل مكان " [20] .
و هي كذلك كائن حي له روح و تاريخ فنجدها أحيانا وديعة ساكنة وأحيانا رهيبة و عاصفة .
و الطبيعة هي ذلك العالم الذي لم تفسده المدينة و القوانين ، و قد عرفت عند الرومانسيين كذلك باسم الغاب أي المرحلة المرافقة للفطرة و البداوة فهيجو مثلا يرى : " فيها مناظر إلاهية ترفق الإحساس و تجعل الإنسان يشعر بالضعف و يرى نفسه أمام عجائب الخالق و عظمته " [21]
و من هنا عشق الرومانسي الطبيعة فألف حياة البراري و الغاب و الصحراء و الجبال، يهيم على وجهه فيها دون قيد ففيها وجد حريته ووجد عالمه الفسيح الأرجاء الذي لا تقيده قيود و لا يعوقه حاجز.
" ومن مظاهر الطبيعة التي كانت تجذب الرومانسيين بشدة الليل لأنه عالم الوحدة فيه يسود الصمت و تتلاشى الحركة و فيه يستسلم الرومانسي إلى الهدوء الذي يبتغيه ، فالليل يمحو الحدود و الفوارق و يوحي بالتحرر و الانطلاق ، كما أحبوا كذلك فصل الخريف كونه يتفق مع نفوسهم الحزينة المليئة بالآلام "[22].

د- الوحدة العضوية :

و هي أن يسيطر شعور واحد من البداية الى النهاية و إن اختلفت جزيئات الموضوع فلا بد أن يكون خيط دقيق من المشاعر يجمع بين جزئياته و هذا ما يطلق عليه بالوحدة الموضوعية ، وهي أيضا أن تكون القصيدة بناء متكامل تتكامل أجزاءه كما يتكامل التماثل بأعضائه فلا يمكن استغناء أي جزء عن الآخر باعتبار كل جزء له وظيفة في البناء الكلي للقصيدة " [23].
" و نجد مفهوم الوحدة عند كلوريدج تتمثل في وحدة المشاعر التي يثيرها الموضوع و ما يقتضي على ذلك من ترتيب للصور و الأفكار ترتيبا تتقدم القصيدة شيئا فشيئا حتى تنتهي إلى الخاتمة و لابد أن تكون الصلة بين أجزاء القصيدة صادرة من ناحية وحدة الموضوع و الفكرة والمشاعر و حتى إن استعمل الشاعر أكثر من فكرة فلا بد من شعور جامع لهذه الأفكار تحت موضوع واحد و عاطفة واحدة وفق تسلسل منطقي " .[24] .

ه- العبارة الرومانسية :

لها دور أساسي في الشعر الرومانسي إذ أنه من خلال أشعارهم حاولوا لبس عباءة جديدة لألفاظهم و عباراتهم فردوا على تشدد الكلاسيكيين في صناعة الإنشاد و النظم و ذلك بقولهم بأنه يجب على الأديب أن يتخلص نهائيا من المفردات و التراكيب البيانية التي فرضها عليه تقليد الأقدمين لأنها تعبر عن ديانات و عادات بعيدة عن روح العصر و عباراته "[25].
و أن يترك العنان للحالة النفسية بأن تفرض عليه وسائل تعبيرية خاصة بها .
" ومن هنا فالرومانسية تتسم بالبعد عن الصنعة و التكلف و إنما ألفاظها تفيض تلقائيا عن النفس الشاعرة بطريقة انسيابية تلقائية دون بذل أي جهد في البحث عن هذه الألفاظ "[26].

و: الثورة على المجتمع :

و ذلك لاعتبار المجتمع مؤسسة تسن القواعد فثاروا عليها و على هذا النظام الاجتماعي باعتباره يمثل القيد و يخنق حرياتهم فهم يرون في تحطيم هذه النظم رفع للظلم عن الأفراد عن طريق إبراز ذاتية الفرد فهم يرون في المجتمع كل الصفات السيئة من نفاق و كذب لذلك وجب الثورة عليه و التحرر من تلك القيود "[27]و خير دليل على هذا ثورة هيجو على مجتمعه الفرنسي.

---

[20] - إبراهيم عبد الرحمان : الأدب المقارن بين النظرية و التطبيق ص 42.
[21] - فايز ترحيني : الدراما و مذاهب الأدب ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر لبنان ، ط1 ، 1988 ، ص 180.
[22] - فايز ترحيني : الدراما و مذاهب الأدب ، ص 180.
[23] - حمدي الشيخ : جدلية الرومانسية و الواقعية في الشعر المعاصر ، ص 165.
[24] - محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث ، ص 373، 374.
[25] - فايز ترحيني : الدراما و مذاهب الأدب ، ص 181.
[26] - نفسه ، ص 181.
[27] - فايز ترحيني : الدراما و مذاهب الأدب ، ص 87.

و خلاصة القول : " الرومانسية تميزت باعتداد على العاطفة و الإحساس و بالغربة و بالحب و الألم و كذا الهروب من عالم الواقع المرير الذي لم تجد فيه إلا القسوة و الظلم إلى عالم تمنت فيه تجسيد أحلامها ألا و هو عالم الخيال فجعلته أسمى درجات التصور بمعنى اعلائه على العقل و المنطق و الحكمة كما تميزت بالثورة على أوضاع المجتمع " [28] وتجسد المذهب الرومانسي في الوطن العربي في جماعة أبولو و الديوان و الرابطة القلمية ومن أعلام هذا المذهب عربيا نجد خليل مطران و الياس أبي شبكة و جبران خليل جبران ، ميخائيل نعيمة و أبي القاسم الشابي .

الشابي واحد من شعراء عصر النهضة و هو شاعر تونس الخضراء ، و الشابي " هو أبو القاسم بن محمد بن أبي القاسم بن إبراهيم الشابي ولد بالشابية إحدى ضواحي مدينة تونس في 24 فيفري 1909" [29].

و الشابية تعد من أجمل بلدات تونس لما تحتويه من مناظر طبيعته رائعة .

نشأ أبو القاسم في أسرة محافظة على العادات و التقاليد و الدين ، أين حفظ القرآن الكريم ، وهو في التاسعة من عمره ، وكان والده من النابغين في علوم الشريعة فقد حصل على الشهادة العليا بجامع الزيتونة ليصبح بعد ذلك قاضيا شرعيا و كان هذا سببا في عدم مكوث الشابي كثيرا في مسقط رأسه فقد كان ينتقل مع أبيه القاضي من مكان إلى آخر .

كما أن وظيفة والده كانت سببا من الأسباب التي حرمته نعمة النشأة في مكان سقوط رأسه واستمر تنقل والده من بلد إلى آخر ما يقارب العشرين سنة كانت كافية لأن تحرمه نعيم الاستقرار في مدرسة واحدة ينشأ فيها على أيدي أساتذتها نشأة منضجة لعلومه ، مستقرة المناخ الذي يعتاده الجسد و المحيط الذي رسم نشأته ورفع الستار عن مسرح شاعريته يمثل خياله ميدان ولادته أبكار قصائده يقع في منطقة الجريد المحاذية للجنوب التونسي [30].

قال الشاعر متحدثا عن أبيه: " إنه أفهمني معاني الرحمة و الحنان و علمني أن الحق خير ما في هذا العالم و أقدس ما في هذا الوجود "[31] .

و إذا كان هذا الترحال قد حرمه من الاستقرار في المدرسة الواحدة ، فقد أكسبه خيالا متوثبا وغذى ذاكرته بصور البيئة التونسية ، المتنافرة و عمق تجربته الشعرية فأطلقه على حدود البيئة الضيقة و أكسبه تجربة انسانية شاملة[32].

و في الثانية عشر من عمره أرسله والده إلى العاصمة التونسية حيث تم التحاقه بكلية الزيتونة، واستمر يدرس بها العلوم الدينية و اللغوية حتى تخرج منها سنة 1928 نائلا شهادة التطويع وهي أرفع شهاداتها الممنوحة في ذلك الحين[33] .

كما أنه استطاع أن يجعل لذاته ثقافة عربية تجمع بين التراث القديم و الأدب العربي الحديث فكانت أول مطالعاته على كتب المهجريين أمثال جبران و ميخائيل و أبي ماضي و من الكتب القديمة نجده طالع عددا منها و هو ما يعرف بأمهات الأدب " كالأغاني " و صبح الأعشى و"نفح الطيب " و " الكامل " و "العمدة " .

ومن خلال الترجمة استطاع أن يطلع على جوانب التجربة الشعرية الغربية ممثلة في أشعار لامرتين ، بيرون و شيلي .

و في سنة 1928 انتسب إلى المدرسة التونسية للحقوق و تمكن من نيل إجازة الحقوق في سنة 1930.

---

[28] - إيليا الحاوي : الرومنسية بين الأدب الغربي و العربي ، ص 92.

[29] - سهام خرفي ، أبو القاسم الشابي شاعر القلب و الأحزان ، دار قرطبة للنشر الجزائر ، ط1 ، 2005، ص 3.

[30] - عبد المجيد الحر ، أبو القاسم الشابي أعطى الحياة إراداتها و اخذ منها حزنها و كآبتها دار الفكر العربي لبنان ، ط1 ، 1994 ، ص 53 .

[31] - أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص 9.

[32] - مجيد طراد ، ديوان أبي القاسم الشابي و رسائله ، دار الكتاب العربي لبنان ، 2006 ، ص 9 .

[33] - أبو القاسم محمد كرو ، الشابي حياته و شعره ، منشورات دار مكتبة الحياة لبنان ، ط3 ، 1971، ص 38.

ساهم في تأسيس النادي الأدبي بتونس العاصمة و نادي الطلاب بتوزر " و على الرغم من قصر عمره إلا أنه تمتع بثقافة متميزة و هذا ما شهد له به أكثر من باحث و أديب و يظهر ذلك في ما أنشأ من شعر و ألف و كتب و حاضر " [34].

ورغم النشاطات التي قام بها الشابي إلا أن الأحداث و النكبات التي أصابته عكرت صفوى حياته فقد " مني بنكبات ثلاث زواج غير موفق و حب مخفق دام و موت والده و كان لهذه الحوادث تأثير عميق في حياته و شعره الذي انطبع بطابع الحزن و الإحساس بالكآبة والمرارة"[35].

و في السنة التي توفي فيها والده أصيب بداء تضخم القلب و هو في الثانية و العشرين من عمره، بيد أنه رغم نهي الطبيب لم يقلع عن عمله الفكري و واصل إنتاجه نثرا و شعرا و قد نشرت له سنة 1933 بمجلة أبولو المصرية قصائد عملت على التعريف به في الأوساط الأدبية بالمشرق العربي لم يكن الشاعر المريض يغادر توزر إلا في الصيف و يقصد المصطافات الجبلية كعين دراهم بالشمال التونسي سنة 1932 و المشروحة ببلاد الجزائر سنة 1933 وشرع أثناء مصيف سنة 1934 في جمع ديوانه " أغاني الحياة " بنية طبعه لكن باغتته المنية وحالت دون ما نوى و توفي يوم 9 أكتوبر 1934 ثم نقل جثمانه إلى بلده " توزر " حيث قبره[36] .

و قد وصفه شقيقه محمد الأمين الشابي قائلا : " نحيف الجسم ، مديد القامة قوي البديهة سريع الانفعال حاد الذهن تكفكف رقة طبعه من غرب عاطفته وحدة ذهنية يراه أصدقاؤه بشوشا كريما وديعا متأنقا طروبا المجالس الأدب يحب الفكاهة الأدبية و يراه من لم يخالطه جبيا محتشما ويعرف منه هؤلاء وأولئك صراحة حازمة قوية يبديها لخاصة خلطائه في غير ما تحرج متى اجتمع بهم و يجاهر بها العموم في شعره و نثره و كان محبا لبلاده صادق الوطنية يؤمن بأن لقادة الفكر رسالة إنسانية سليمة حاول جهده أن يحققها في أثناء حياته القصيرة قولا و عملا "[37].*

الفصل الأول

- مرارة الموت:

استخدم الشابي الطبيعة ليوصل أفكاره و أحاسيسه ، ومزج بين مظاهر الطبيعة و الأغراض الشعرية ، و اختلطت مشاعره نحو الطبيعة بمشاعر الوحدة و الألم و الكآبة و المرارة ، وغيرها من الأحاسيس و الخلجات ، و من المواضيع البارزة في ديوانه نجد الموت بكل ما تحمله هذه الكلمة من مرارة و ألم ووحدة و فراق و وحشة .

حرم الموت الشاعر من أعز شخصيين على قلبه الأب و الحبيبة ، وهو في سن مبكرة بالإضافة إلى أن الشابي عاش و قد لزمه الخوف الدائم من شبح الموت ، بسبب إصابته بمرض داء تضخم القلب .

كل هذه المعطيات أثرت في نفسيته، و هذا ما انعكس في شعره، فغلبت عليه مسحة الحزن والألم.

يعرف فرويد النفس الإنسانية على أنها جبل جليدي يجوب بحار الشمال الباردة الجزء الصغير الظاهر أسماه الشعور ، و الذي يحتوي على الذكريات و المشاعر التي يكون الفرد على وعي دائم بها ، أما الجزء الأكبر المتخفي أسماه اللاشعور ، وهي التي تجمع الخبرات التي مر بها الفرد في حياته و التي تركت أثارها على الفرد و التي لا يستطيع الفرد أن يتذكرها و لا أن يكون على وعي بها ، لذلك قد أعطى فرويد أهمية كبيرة لهذه المنطقة في حياة الفرد النفسية [38] .

---

[34] - كاظم حطيط ، أعلام ورواد في الأدب العربي ، ج2 ، مكتبة الدار العربية للكتاب القاهرة ، ط1 ، 2003، ص 234.

[35] - إبراهيم خليل ، مدخل لدراسته الشعر العربي الحديث ، دار الميسرة الأردن، ط1 ، 2003 ، ص 173.

[36] - أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص 12.

[37] - نفسه ، ص 12.

[38] - ربيع محمد شحاتة ، تاريخ علم النفس و مدارسه ، دار غريب القاهرة ، 2004 ، ص 284.

وانطلاقا من هذا المستوى استنتج فرويد أن الإبداع مرتبط ارتباطا وثيقا بحياة المبدع النفسية ، وهذا ما يتجلى واضحا في أشعار الشابي ، حيث قال عن الموت : " الخريف و الموت صوتان متصاعدان من قيتارة العدم ، الموت جرعة مرة في أعماق كأس الحياة [39].

فبعد أن توفي والده راح يصارع الحياة ليضمن العيش لأسرته، و يرعاها و يدير شؤونها، فلم يلج بابا من أبواب التكسب، بل رضي بحياة بسيطة.

يقول عز الدين إسماعيل " أن الشاعر يستلذ الآلام في نشوة الرحي ، وفيها الدواء و الأدواء "[40].

و الملاحظ هنا أن الألم له تأثير كبير على إبداع الفرد، إذا أنه يمكن إلى حد ما أن يكون مصدرا للمعرفة الروحية.

و قد عبر الشابي عن ألامه و فاجعته في فقدان والده في قصيدة يا موت حيث قال :

يا موت قد مزقت صدري و قصمت بالأرزاء ظهري
و فجعتني فيمن أحب و من إليه أبث سري
و أعده غابي و محرابي و أغنيتي و نجري
يا موت ماذا تبتغي مني ؟ و قد سودت بالأحزان فكري [41]

فالموت كما قال حطم ظهره و سلبه فجره الجميل و غابه و محرابه فهذه الأحاسيس و المشاعر تمثلها في الطبيعة بالفجر و الغاب ، فالشاعر يخرج إلى الطبيعة فهي رسم عبقري فيها الغموض و السحر فيبثها ألامه و معاناته و يصبغها بشعوره لتعطينا صورة شعرية امتزج فيها الألم بالجمال .

" استعان بالطبيعة ذات المناظر الخلابة من أجل جلاء الصور الشعرية التي تجتمع مع جوهر أفكاره و مشاعره التي يريد التعبير عنها " [42].

و هناك في حياة أبي القاسم تجربة قاسية قل أن يمر بها إنسان دون أن تجعله شاعرا و هي فتاة أحبها كثيرا لكنها ماتت و هي برعم لم يتفتح و أثرت هذه الفاجعة عليه كثيرا فتفجرت في حناياه بواعث العذاب و انطواء قلبه على أسى لا سبيل فيه إلى سلوى ، فخيم في فكره الموت و ما يصاحب هذا المعنى من وحشة و ظلام و فراغ .

بالأمس قد كانت حياتي كالسماء الباسمة
و اليوم قد أمست كأعماق الكهوف الواجمة
ثم اختفت خلف السماء وراء هاتيك الغيوم
حيث العذارى الخالدات يمس مابين النجوم
ثم اختفت أواه ، طائرة بأجنحة المنون
نحو السماء و ها أنا في الأرض تمثال الشجون [43]

و قصيدة " مأتم الحب " تصور لنا تجربة عاطفية عميقة انتهت بالفشل بسبب موت الحبيبة في أوج شبابها ، فطعن الشاعر طعنة قوية مزقت وجدانه و أدمت قلبه حزنا على فراق محبوبته حيث يقول :

في الدياجي
كم أناجي
سمع القبر بغصات نحيبي و شجوني
ثم أصغ علني أسمع ترديد أنيني
فأرى صوتي فريد
فأنادي
يا فؤادي
مات من تهوى و هذا اللحد قد ضم الحبيب

---

[39] -- أبو القاسم الشابي ، الأعمال الكاملة ، ج2 ، ص 13.
[40] - عز الدين إسماعيل ، التفسير النفسي للأدب ، ص 23.
[41] - أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، منشورات دار الكتب الشرقية ، تونس ، ط1 ، ص 95.
[42] - يونس عطا الطريفي ، أبو القاسم الشابي حياته و شعره ، الأهلية للنشر و التوزيع ، ط1 ، سنة 2009، ص 64.
[43] - أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص 69.

فابك يا قلب بما فيك من الحزن المذيب
ابك يا قلب وحيد [44]

الحزن الذي خلفه فقدان الحبيبة تقاسمه مع الطبيعة و خاصة مع الليل لأنها المتنفس الوحيد لألمه في هذا الوجود و الطبيعة تعتبر الوعاء الكبير الذي تصب فيه كل المشاعر و الخواطر " أحببت من قبل و ليس لي أن أحب من بعد لأن الحب واجد كجوهر الحياة خالد لن يستحيل و فتح قلبي الحب ثم أوصده الموت و ما أوصده الموت لا تستطيع فتحه الحياة "[45].

فهذان الحدثان الأليمان (موت الوالد و الحبيبة) أثرا كثيرا على نفسيته و حياته و هذا ما نحسه من تصفحنا لديوانه فهو مليء بالأسى و الحزن، وولد في قلبه رهبة من الموت.

ما للمنية لا ترق على الحياة النائحة
سيان أفئدة تئن أو القلوب الصادحة
يا شعر هل خلق المنون بلا شعور كالجماد
لا رعشة تعرو يديه إذا تملقه الفؤاد [46]

فهذا الألم و الخوف جاء نتيجة خوفه من الموت فقد كان يراه شبحا قاتلا إذا لمست أصابعه أزهار الربيع ذبلت و أصبحت العصافير كالتماثيل لا يسمع لها صوت و لا لحن من فرط قسوته.

فنراه يتساءل عن سر الموت و سر وجوده ؟ و سر قسوته ؟

" لكننا نراه بعد حين مقبلا على الموت إقبالا ايجابيا واعيا ، راجيا أن يجد في صدره الراحة من هذا العالم المظلم الذي جف سحره ، و غاضت ينابيع الجمال فيه ، و ذبلت أزهاره اليانعة ، وأخذ يتساءل عن الغاية من وجوده وسعيه في هذه الحياة "[47].

فما سر هذا التناقض في حياة الشابي ؟ مرة يبدو خائف من الموت و مرة أخرى يسعى إليه ويطلبه ؟

ربما يرجع هذا إلى شخصية الشابي فهي شخصية عاطفية انفعالية و تخضع نظرته إلى الحياة إلى لحظات الانفعال و نوعه فإذا كان الانفعال وليد الحزن و الألم فالحياة تصبح سوداء قاتمة أما إن كان الانفعال نتيجة السأم من العيش فالحياة تصبح لا مبرر لها و لا قيمة لها .

ثم ماذا إن صرت في الدنيا بعيدا عن لهوها و غناها
في ظلام الفناء أدفن أيامي و لا أستطيع حتى بكاها
و زهور الحياة تهوي بصمت محزن مضجر على قوميا [48]
جف سحر الحياة يا قلبي الرامي فهيا نجرب الموت هيا

فهذه دعوة صريحة لترك هذه الحياة و همومها و دعوة لتجريب الموت عله يكون أرحم .

" لقد كان يرى في الموت ذوبانا في فجر الجمال السرمدي و هو في ذلك يشبه الشاعر الايطالي ليوباردي الذي كان يقول : شيئان جميلان في هذه الدنيا الحب و الموت ، الموت يلغي آلام الإنسان في الحياة إنه يحب الموت و يهتف به "[49].

الموت هو الخلاص الوحيد من شقاء الحياة فهو بمثابة رصاصة الرحمة وسط هذا الشعور المثقل بالنواح و الألم و حتى في تصوره لمماته لم ينس أن يودع الطبيعة التي كانت معه في كل لحظاته التعسة و رافقته في مختلف أحاسيسه.

الوداع الوداع	يا جبال الهموم
يا ضباب الأسى	يا فجاج الجحيم
قد جرى زورقي	في الخضم العظيم
و نشرت القلاع	فالوداع الوداع [50]

---

[44] - أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص 20.
[45] - أبو القاسم الشابي ، الأعمال الكاملة ج 2 ، ص 41.
[46] - أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص 35.
[47] - خليفة محمد التليسي ، الشابي و جبران ، الدار العربية للكتاب ، ط3 ، سنة 1984 ، ص 91.
[48] - أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص 141.
[49] - خليفة محمد التليسي ، الشابي و جبران ، ص 92.

فهو يرسم صورة لهمومه و كأنها الجبال و شبه الأسى بالضباب و فجاج الجحيم فيركب زورقه ويخوض به البحر العظيم و ينشر قلاعه ملوحا بيده الوداع ، الوداع .
يقول شالزلامب أثناء حديثه عن علاقة الشاعر بالواقع : " ربما كان من الصعب إنكار ما قد يعانيه الفنان من مرض أو تشويه يعد عاملا في إنتاجه له أثره في كل جزء من هذا الإنتاج ، لكن المرض و التشويه يتاح لنا جميعا ، فالحياة تمدنا بهما في كرم مسرف ، أما ما يميز الفنان فقدرته على تشكيل مادة الألم الذي نشعر به جميعا ، فهو فنان بفضل نجاحه في تجسيم عصابه و تشكيله له و جعله متاحا للآخرين بطريقة يكون لها أثرها في ذواتهم المضطرعة " [51].
و هذا ما نستنتجه من قراءتنا لأشعار الشابي ، فكأن الألم الذي يحمله الشاعر في قلبه ينتقل إلينا، فهو يجعلنا نتألم معه كأن ما أصابه أصابنا جميعا .
قال كوليردج : " إن الشاعر قادر على استحضار روح الناس الكلية في حالة نشطه "[52].

2- الكآبة المجهولة:

الشابي أكثر الشعراء كآبة و غربة من بين الشعراء ، وهذا بشهادة معظم النقاد و ربما هذا راجع لرومانسيته " الأدب الرومانسي بشكل عام و الشعر بشكل خاص أدب عاطفي ، و لذا يكثر فيه الشكوى و الحزن و الألم و الحنين و الحرمان " [53].
و الشابي عانى من مصائب كثيرة في حياته ، ولدت عنده إحساس بالغربة و شعور عميق بالكآبة " و كل مؤثر قوي يثير في المرء حركات تتعلق بها المدارك في صورة عاطفة أو انفعال نفسي ، و لكن دقيق الشعور لا يكفيه هذا المتنفس لأنه أحس من غيره بما تطلع عليه نفسه من الظواهر ، و أعمق مع دقة الحس شعورا ، وليس يخفى أن دقة الإحساس و عمق الشعور يطيلان أجل العاطفة فإذا استولت عليه عاطفة لم تزل تجيش و تضطرم حتى تقر و تنتظم ثم تتحول فكرة قاهرة تظل تجاذبه و تدافعه حتى ينفس عنها "[54].
و لقد اخترنا هذه الصفة (المجهولة) لأننا لم نستطع أن نعطيها لون محدد و لا أن نعطيها صفة ثابتة ، لأنها كثيرة و متلونة بمختلف ألوان الحزن و الألم .
و كآبة الشابي ممزوجة بمظاهر الطبيعة مثل الليل و الخريف و المساء و الغروب و الرماد إلى غير ذلك من المظاهر .
" و قد يحلو له أن يعبر عن إحساساته بالوحدة و التفرد عن الآخرين في معيار الكآبة و مقياس الحزن ، فكآبته ليست قابلة للزوال ، و إنما هي باقية خالدة في نفسه خلودها الأبدي ، و كآبته في المذاق مرة الطعم و في السمع و لا يكاد يسمع صراخ روحه غيره ، فهي لا يسمعها الجسد و إنما تسمعها الروح ." [55]
الشابي يتخذ من مظاهر الطبيعة وسيلة للتعبير عما في نفسه فهي ليست منفصلة عنه و إنما نراها خلال آلامه و أحزانه فإذا غلب عليه الهم كانت ابرز المظاهر في شعره تلك الشاحبة الحزينة على نحو الكهوف الواجمة ظلمة الليل ، أعاصير الخريف ، الشتاء العابس ، الخريف الحزين فهو يستعين بها لإبراز مشاعره و أحاسيسه .
" انه لا يستطيع تأمل المشهد الطبيعي على انفراد ، فهو إذا تأمله أضفى عليه إحساسه و ألامه ، و في ذلك يسير وفق نزعته الرومانسية تلك النزعة التي تتجه إلى الانصراف إلى الطبيعة والهيام بما فيها من سحر و غموض و الركون إلى أحضانها التي يهيأ البعد عن الانسان وشروره و فوضى الحياة المادية وما فيها من رذيلة و فساد."[56]

---

[50] - أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص 159.
[51] - عز الدين إسماعيل ، التفسير النفسي للأدب ، ص 23.
[52] - أحمد كمال زكي ، النقد الأدبي الحديث أصوله و اتجاهاته ، ط1 ، مكتبة لبنان ناشرون ، 1997 ، ص 216.
[53] - محمد أحمد ربيع ، في تاريخ الأدب العربي الحديث ، ص 95.
[54] - أحمد حيدوش ، الاتجاه النفسي في النقد العربي الحديث ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، ص 44.
[55] - ابراهيم خليل ، مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث ، ص 179 .
[56] - خليفة محمد التليسي ، الشابي و جبران ص 76 .

لكن ما سر هذه الكآبة التي ليست لها حدود ؟ و ما سر غربته ؟ رغم وجوده في بلده و بين عائلته و أصحابه ؟ لعل السبب المهم وراء هذا يرجع إلى مرضه الذي منعه من أبسط الأشياء كالجري و اللعب بالكرة و اللهو مع أصدقائه و أقرانه فوجد نفسه محروما من كل هذه المتعة فانعكس هذا الشعور بالحرمان على نفسيته فسودت آفاقه و غلب على شعوره اليأس و الأسى .

" أهم ما في المرض انه يغير نفسية المريض ، و هو أمر هام جدا إذا كان المريض كاتبا أو شاعرا أو أديبا أو رساما أو نحاتا أو مخرجا مسرحيا أو سينمائيا ... أي إذا كان فنانا حقيقيا"[57].

فمرضه سبب شقائه و تعاسته في هذه الدنيا و قد صرح الشابي بهذا في كثير من المرات ففي رسالة من رسائله التي بعث بها إلى صديقه الحليوي يقول : " فإن قلبي هو منبع آلامي في هذا العالم و من يدري ؟ لعله سيكون منبعا لمثل هذه الآلام في عالم آخر ... إن قلبي يا صديقي هو مصدر آلام هذه النفس التائهة المعذبة و هذا الجسد و ما دامت هذه الحياة تهد منه و لا ترحم فإنني أشقى أبنائها هذه حقيقة أيقنت من صحتها و آمنت بها يا صديقي ، فلا تحاول أن تصدني عنها " [58] .

فقد أثر هذا القلب العليل على حياته بالسلب فصور معاني الفناء و الموت و الظلام و نظر إلى الطبيعة من خلال عالمه الداخلي ذلك العالم الذي كان يموج بالألم و الأسى و الحرمان فاستعار من الطبيعة المتغلغلة في روحه مظاهرها و ألوانها ليعبر بها عن كآبته و غربته و وحشته في هذا العالم .

أنا كئيب
أنا غريب
كآبتي خالفت نظائرها
غريبة في عوالم الحزن
كآبتي فكرة مغردة
مجهولة من مسامع الزمن [59]

هذه هي كآبة الشابي الغريبة عن نظائرها المجهولة في هذا الزمان كآبة لا يستطيع أن يحملها أي إنسان و ماذا لو كان هذا الإنسان مريض القلب ؟

فاقت شدة الأسى و الألم طاقة الشاعر و لم يجد من يتقاسم معه همومه و يشكو له غربته من بني البشر فلجأ إلى الطبيعة و طرحها كآبته عله يجد فيها متنفس لآلامه فقارن بين كآبته و كآبة الكهف فقال :

" أنا و الكهف كئيبان
أنا كئيب لأن في نفسي تتردد لوعات الليالي و الأيام و غصات أبناء الحياة الشقية "[60].

فالكهف كئيب لأن صورته هكذا أما كآبة الشاعر نتيجة لحاله و حالة أبناء شعبه التي تعيش في بؤس و حرمان و تخلف نتيجة للاستعمار من جهة و التخلف الاجتماعي و الثقافي من جهة أخرى .

يواصل مخاطبة الكهف فيقول :

" أيها الكهف الكئيب إننا وحيدان بأحزاننا و أحلامنا في هذا الوجود
أنت وحيد بأحلامك و أمالك و أنا وحيد بأحزاني و آلامي
أنت وحيد في هذه الأودية و أنا وحيد في هذه الحياة . " [61]

هذه الكآبة خلفت وراءها شعور بالغربة و الوحدة فشبه حاله بحالة الكهف الوحيد في الأودية و هو بمفرده في هذه الحياة يقاسي الأحزان و الآلام .

" كآبة الشابي تضرب في نسبها البعيد إلى مثاليته الروحانية التي ترى أن الحق خير ما في هذا العالم وأقدس ما في هذا الوجود . "[62]

---

[57] - محمد فريد غازي ، الشابي من خلال يومياته ، الدار التونسية للنشر سنة 1975 ، ص 35 .
[58] - أبو القاسم الشابي ، الأعمال الكاملة ، ج2 ، ص 72 .
[59] - أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص 22.
[60] - أبو القاسم الشابي ، الأعمال الكاملة ج 2 ، ص 17 .
[61] - ابو القاسم الشابى. الأعمال الكاملةج ، ص 22 .
[62] - عبد اللطيف شرارة ، الشابي ، دار بيروت للطباعة و النشر ، سنة 1989 ، ص 17 .

و معظم المثاليين من العهد الأول إلى يومنا هذا اقرب إلى الأسى و المرارة لأن في صراعهم مع الواقع لا يملكون النجاح و التفوق و لا يستسيغون الفشل و الانكسار لهذا تخيم في نفوسهم الكآبة و الغربة و الشابي واحد من هؤلاء .

و الليل من مظاهر الطبيعة البارزة في شعر الشابي فتقاسم معه الشاعر أحزانه و شجونه فتلون ليله بمشاعره و أحاسيسه و اختيار الليل لم يأتي عبثا لأن الليل يتصف بالحزن و الكآبة والخوف و الوحشة و الشاعر لا يعرف لحياته نهار فهي سوداء قاتمة ، أنها ليل طويل لا يأتي الصبح عليها .

" ليل الشابي هو كليل أكثر الرومانسيين مليء بالأحزان بالشجون بالسكون بالغمام ... كسا الشاعر هذه الصور من لبوس نفسي تتجلى فيه آفة الرومانسية "[63] .

ألبس الشاعر الليل لباس الحزن و الكآبة و السكون نتيجة مشاعره السوداوية التي سيطرت عليه و يصفه بقوله :

" أيها الليل يا شبح الغد يا لحن الهدوء الأخرس يا صدى الصمت الحائر بين شفتي الحياة المتكلمة ، أنت هامد و لكنك حي بشعورك المظلم على مناكب الفضاء "[64] .

و من هنا كان شعور الكآبة و الغربة ، كآبة لا تفسير لها و لا تبرير و غربة تطل على العالم الأهل و كأنها تطل على العدم فالشابي كان يعبر على اللحظة القائمة و مظاهر الكون كلها تعاني داء الوجود و ترسم ملامح الفاجعة و الليل ، من ابرز هذه المظاهر :

أيها الليل يا أبا البؤس و الهو ل يا هيكل الحياة الرهيب
فيك تجثو عرائس الأمل العذ ب تصلي بصوته المحبوب
فيثير النشيد ذكرى حياة حجبها غيوم دهر كئيب [65]

الشعور بالكآبة ظاهرة بارزة في أشعار الشابي و مظاهرها متنوعة تقمصت ألوان مختلفة وأشكال عدة من الطبيعة " و الكآبة الرومانسية تتنوع إلا أن الينبوع الذي تفيض منه كان ينبوعا ميتافيزيقيا في غربة النفس و وحشة العالم و امتناع الحقيقة "[66].

استعمل الشابي المساء ليعبر عن كآبته و غربته و المساء في الحقيقة يعبر عن نهاية يوم شاق ولحظة للراحة و الاستلقاء و لحظة تجتمع فيها العائلة و الأصدقاء لكن مساء الشابي هو مساء الحزن و الشجن و الحسرات .

أظل الوجود المساء الحزين و في كفه لا يبين
و في ثغره بسمات الشجون و في طرفه حسرات السنين
و قبله قبلا صامتات كما يلثم الموت ورد الغصون [67].

" و للمساء وقعة في شعر الشابي و هو مثار للأحلام و الكآبة و فيه معنى الأوبة و النهاية مع التعب و الكفاح في ساح النهار كل شيء يؤوب في المساء إلا أمل الشاعر فإنه ولى و لا عودة له " [68].

الشابي يبصر كل مظاهر الطبيعة كالنور و المياه و الطير و الغاب التي عادة ما تبعث في النفس شعورا بالارتياح و الأمل لكن عنده لا تلج إلى نفسه إلا بالأسى و الوجوم هذا ما يجعله يهاب كل شيء جميل في الحياة .

ما للمياه نقيه حولي و ينبوعي مشوب
ما للصباح يعود للدنيا و صبحي لا يؤوب
مالي يضيق بي الوجود و كل ما حولي رحيب.[69]

يدل هذا الكلام على شخص محطم و نفسية سوداء مثقلة بالهموم لم تعرف الفرح و السرور مطلقا .

---

[63] - يوسف عيد ، المدارس الأدبية و مذاهبها ج2 ، دار الفكر اللبناني ، ط1 ، سنة 1994 ، ص 178 .
[64] - أبو القسم الشابي الأعمال الكاملة ج2 ، ص 93 .
[65] - أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص 25 .
[66] - ايليا الحاوي ، الرومنسية في الشعر الغربي و العربي ، ط2 ، دار الثقافة لبنان ، سنة 1983، ص 176.
[67] - أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص 59.
[68] - ايليا الحاوي ، الرومنسية في الشعر الغربي و العربي ، ص 176.
[69] - أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص 83.

قضيت أدوار الحياة مفكرا في الكائنات معذبا مهموما
فوجدت أعراس الوجود مآتما ووجدت فردوس الزمان جحيما .[70]

فرغم همومه و عذابه إلا أنه ظل يفكر و يبحث عله يجد الفرح و يدخل قلبه شيء من السرور والنور ليطرد عنه الحزن و الأسى لكنه وجد الأفراح مآتم و وجد الحياة جحيم و عذاب ليس إلا.

" لست أود أن اقتنع بأن الشابي ارتدى اسمال الحزن و القنوط من الخارج ذلك أن نفسه بكل قواها الواعية و اللاواعية تتنفس في شعره ، كما يتأمل و يعاني بل أن معاناته كانت حتما عليه يتملى بكل موجود و الموجود الآخر القائم إلى جنبه أو في ضميره و هو يتربص به و يتسرب إليه بالعطف و لقد تأثر الشابي بهذا أو ذاك من الشعراء إلا أنه صهر تأثراته في جحيم معاناته وسكب عليها من حطام عمره و عافيته و حطام التاريخ و انقاض الطبيعة فإذا هو ينطلق بصوته و يصيح بألمه في أعماق الفراغ و العبث و السدى لعل شعره كان نشيد احتضار طويل تلاه على مسامع الكون الصماء " .[71]

و نتيجة إحساسه بالغربة و الكآبة تمنى الشاعر لنفسه عالما آخر يعيش فيه و يلجأ إليه و أي عالم أروع من الطبيعة فهي الأم الرؤوم التي تضم أولادها إلى صدرها بكل عطف و حنان وسط الأشجار و الزهور .

إنني ذاهب إلى الغاب علي في صميم الغابات أدفن بؤسي
سوف أتلو على الطيور أناشيدي و أفضي لها بأشواق نفسي
فهي تدري معنى الحياة و تدري أن مجد النفوس يقظة حس
ثم أقضي هناك في ظلمة الليل و ألقي إلى الوجود بيأسي.[72]

فالطبيعة هي ملاذ الشاعر الوحيد فهي مبعث السكينة و السلوى و من هذا الذي يستطيع تحمل كل المشاعر و الأحاسيس المؤلمة و يعطينا نقيضها من فرح و طمأنينة غيرها هي .

و فلسفة الشاعر في جميع صورها الباكية الحزينة ترد إلى رقة إحساسه و رهافة شعوره فهو ما شقي في الدنيا إلا برقة إحساسه و يقظة شعوره تلك اليقظة التي كانت تبالغ في عبادة القيم الجمالية و طموحه و شخصيته الفريدة من أقوى العوامل الفعالة في خلق هذه الكآبة التي صبغت شعره .

الفصل الثاني

- التمرد السياسي:

رفض الشابي الحالة التي يعيش فيها شعبه من ذل و خنوع في ظل مستعمر غاشم لا يعرف الإنسانية والرحمة. " في أعماق كل كائن بشري رغبات مكبوتة تبحث دوما عن الإشباع في مجتمع قد لا يتيح لها ذلك ، و لما كان صعبا إخماد هذه الحرائق المشتعلة في لاشعوره فانه مضطر إلى تصعيدها ، أي إشباعها بكيفيات مختلفة . الفن إذن تصعيد و تعويض لما لم يستطع الفنان تحقيقه في واقعه الاجتماعي و استجابة

---

[70] - نفسه، ص 81.

[71] - أبو القاسم محمد كرو ، دراسات عن الشابي ، الدار العربية للكتاب سنة 1984 ، ص 252.

[72] - أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص 102.

تلقائية لتلك المثيرات النائمة في الأعماق النفسية السحيقة و التي قد تكون رغبات جنسية بحسب فرويد ، أو شعورا بالنقص يقتضي التعويض بحسب آدلر أو مجموعة من التجارب و الأفكار الموروثة المخزنة في اللاشعور بحسب يونغ."[73]

و لعل السبب الأقرب لتفسير نفسية الشابي هو تشبعه بأفكار و مبادئ الرومانسية التي تمجد الحرية و الانطلاق ، و ترفض كل أشكال القيود .

و ليعبر الشابي عن تمرده و غضبه وظف مظاهر الطبيعة فهل هي نفسها المظاهر التي وظفها في تعبيره عن كآبته و حزنه ؟ أم هي مظاهر أخرى ؟

مظاهر الطبيعة واحدة لا تتغير بتغير الموضوع فالظلام و كذلك الرياح و الرعود و الجبال و الخريف و الربيع ، إلا أن الذي يتغير هو الشحنة العاطفية التي تحملها و بالتالي فالظلام عندما امتزج بالحزن و الكآبة اختلف عن الظلام المحمل بشحنة الثورة و التمرد .

" و الطبيعة هي في أعماق كل تجربة عاناها الشابي أنها في أعماق تجربة الحرية و لقد كانت الحرية بالنسبة إلى الشابي تتعدى إطارها السياسي إلى الإطار الوجودي و النفسي بل الروحاني و هي تنبع من نواميس الطبيعة."[74]

الشاعر خلال تمرده و غضبه و رفضه للأوضاع التي كان يعيش فيها شعبه لم يطمح للاستقلال السياسي فقط بل تعداه إلى أبعد من ذلك فالشابي كان يطمح لإيجاد السكون الداخلي الذي يطمئن النفس و يجلب لها الاستقرار .

و مشاعر الغضب كساها الشاعر بمظاهر الطبيعة كالرعد و العواصف و الأنواء و الزوابع والأمواج و البراكين و الثلوج و هي ترجمة لنفسه و مشاعره التي مالت للرفض و العصيان .

" كثيرا ما تلتحم في القصائد التي يعبر فيها الشابي عن القوة و التمرد و الإرادة روح جبران وروح نيتشه في آن مثل أنشودة الرعد و إلى الطاغية النبي المجهول في ظل وادي الموت ، إرادة الحياة ، نشيد الجبار . لكن تنبثق تجربة الشابي و معاناته من البيئة التي عاش فيها و ظروفها التاريخية تحت الاحتلال الفرنسي و حرمان الهوية و الحرية."[75]

الشابي رغم تأثره بإرادة جبران و قوة نتشه إلا أن تجربته بقيت مرتبطة دائما و أبدا بأوضاع مجتمعة فالشاعر الحق هو المعبر عن أوضاع مجتمعه محاولا استنهاضه و بث روح الإرادة فيه فهو القائل :

ضيع الدهر مجد شعبي و لكن ... سترد الحياة يوما وشاحه

إن ذا عصر ظلمة غير أني ... من وراء الظلام شمت صباحه[76]

رغم الظلمة التي يعيش فيها هذا الشعب إلا أن الشابي كان متيقنا من قدوم الصباح و النور لينصف هذا الشعب لكن كيف السبيل إلى هذا ؟

" هذه المناجاة للوطن و الاصداع بمحبته و الإيمان بمصيره المشرق رغم قوى الظلام و قسوة الدهر لها جميعا صداها المتجاوب مع شوق الثائرين و عزم المناضلين و يقين المؤمنين بنبل رسالتهم في كل مكان و زمان."[77]

حاول الشاعر أن يبث في شعبه روح الحياة فاستخدم جل مظاهر الطبيعة عسى أن يستطيع أن ينقل له ما يجول في خاطره من مشاعر و أحاسيس فلا ربما يحس بها و يقدرها و يأخذ بها من أجل استرداد حريته .

أيها الشعب ليتني كنت حطابا ... فأهوى على الجذوع بفأسي

ليتني كنت كالسيول إذا سالت ... تهد القبور رمسا برمس

ليتني كنت كالرياح فأطوي ... كل ما يخنق الزهور بنحسي

ليتني كنت كالشتاء أغشي ... كل ما أذبل الخريف بقرسي

ليت لي قوة العواصف يا شعبي ... فألقي إليك ثورة نفسي [78]

---

[73] - يوسف وغليسي ، مناهج النقد الأدبي ، ط1 ، جسور للنشر و التوزيع الجزائر ، 2007 ، ص 22 .

[74] - إيليا الحاوي ، الرومانسية في الشعر الغربي و العربي ، ص 158 .

[75] - نذير العظمة ، التغريب و التأصيل في الشعر العربي الحديث ، سوريا ، ط 1 ، سنة 1999 ، ص 135 .

[76] - أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص 13 .

[77] - أبو القاسم محمد كرو ، دراسات عن الشابي ، ص 93 .

لا توجد أقوى من هذه المظاهر السيول و الرياح و الشتاء و العواصف لتحمل شعور التمرد و القوة و تعبر أصدق تعبير عن نفس الشاعر التي لم ترضى العيش مكيلة على عكس موقف الشعب الذي فضل الخنوع على الثورة .

" و لو ذهبنا نتتبع هذه الحياة النفسية في شعر الشاعر لوجدنا الأمثلة العديدة فهو في ثورته على شعبه تلك الثورة التي عبر عنها أحسن تعبير في قصيدته النبي المجهول لا يجد ما ينقل إلى شعبه ثورة نفسه إلا الرياح العاتية و الأعاصير الطاغية لأنها اقدر على تحطيم جذوعه الخائرة البالية."[79]

يثور الشاعر بعدما استسلم للأحزان فإذا هو عاصفة من النقمة على الوضع الذي آل إليه مجتمعه و هو بهذا العزم يصارع القدر و يتحدى المصائب و في قمة ثورته و غضبه يلتجئ الشاعر للطبيعة لتكون له عونا لايقاض شعبه من سباته .

" انه لا يعادي الإنسان فيهرب إلى الطبيعة بل يبلغه الرسالة و حين يرفضها يلجأ إلى طبيعة لا تنطوي إلا على الجمال و الحق و الخير التي يصد الإنسان عنها حواجز الغباء."[80]

الشابي لم يقف حياديا إزاء ما يمر به وطنه بل تسلح بالإرادة و القوة ليوصل رسالة الثورة إلى شعبه .

ألا أيها الظالم المستبد حبيب الظلام عدو الحياة
سخرت بأنات شعب ضعيف وكفك مخضوبة من دماه
رويدك لا يخدعنك الربيع وصحو الفضاء وضوء الصباح
ففي الأفق الرحب هول الظلام وقصف الرعود وعصف الرياح[81]

يتزايد رمز الطبيعة فهي تغرر الظالم بالربيع و السكون لكن خلف هذا الصحو تتربص به الرعود و الرياح و الأهوال التي ترمز لثورة و استفاقة الشعب و في ثورته هذه يلتفت الشاعر إلى الشعب و يقف عنده مطولا مستغربا من أمره حينا و غاضبا عليه حينا آخر و في نفس الوقت متسائلا عن مصيره في هذه الحياة .

أين يا شعب قلبك الخافق الحساس أين الطموح و الأحلام
أين يم الحياة يدوي حواليك فأين المغامر المقدام
أين عزم الحياة لاشيء إلا الموت والصمت والأسى والظلام[82]

" لاشك أننا نرى تصويرا للشعب و لكن وراء هاته الكلمة الجبارة لا أشك في أن الشابي قد صور مطامحه و اندفاعاته كمريض فهو في دعوة إرادة الحياة يتجسم في شعب بأسره و يرى ذاته المريضة تطابق ذات الشعب المريض و لكن كلاهما مندفع نحو الحياة نحو كسر القيود نحو الوجود الأخصب ."[83]

الشاعر آمن بالحرية و ناشد الشعوب بالتخلص من كل أنواع الاستغلال و الاستعباد و بضرورة إحلال السلام و تحقيق العدالة و الأمن .

و لتشهد الدنيا التي عنيتها حلم الشباب و روعة الإعجاب
أن السلام حقيقة مكذوبة و العدل فلسفة اللهيب الخابي
لا عدل إلا إن تعادلت القوى و تصادم الإرهاب بالإرهاب.[84]

الشابي في ثورته أراد أن يبلغ رسالة مهمة للشعوب و هي ما أخذ بالقوة لا يسترجع إلا بالقوة و أن لا ينغر بالوعود الكاذبة التي يقدمها المستعمر لتنويم المستعمر حتى لا يثور ولا يتمرد .

" و موضوع الصراع في ديوان أغاني الحياة مرتبط بالظروف الاجتماعية و التاريخية التي عاشها الشاعر ارتباطا عضويا قائما على تفاعل جدلي دائم ، و هذا الصراع هو الآخر كان ثنائيا إلا أن ثنائيته

---

78 - أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص 102 .
79 - خليفة محمد التليسي ، الشابي و جبران ، ص 77 .
80 - نذير العظمة ، التغريب و التأصيل في الشعر العربي الحديث ، ص 132 .
81 - أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص 185 .
82 - أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص 175 .
83 - محمد فريد غازي ، الشابي من خلال يومياته ، ص 45 .
84 - أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص 192 .

ليست آنية و إنما كانت زمنية تمثلت أولا في اصطدام وعي الشاعر بالقوى الغالبة و هي قوى الاستعمار ، ثم تمثلت في مرحلة لاحقة في اصطدامه بالشعب المستعمر نفسه."[85]
انقسمت ثورة الشاعر على جبهتين الأولى ضد الاستعمار و الثانية ضد الشعب لأنه كما وصفه مازال طفل صغير يلعب بالتراب .
ينصهر الشابي في الطبيعة لدرجة الذوبان فيها فتعبق أنفاسها و صورها في شعره و قصائده .
" و هو يقوى و يعنف و يتفجر في مقاومة الاستعمار و مقاومته ليكون صوت الوطن المعاني والمقيد و الإنسانية الواثقة و المتجددة."[86]
و تعتبر قصيدة إرادة الحياة أكثر القصائد تعظيما للحرية يتجه الشاعر فيها إلى الطبيعة متحدثا مع مظاهرها مثل : الريح ، الظلام ، الجبال .
" و القصيدة رومنطيقية تمجد الحرية و يلتجيء الشاعر فيها إلى الطبيعة متحدثا مع عناصرها و قد استخدم الشاعر صورة الريح للدلالة على القوة العنيفة القادرة على تغيير الواقع."[87]

إذا الشعب يوما أراد الحياة فلابد أن يستجيب القدر
و لابد لليل أن ينجلي و لابد للقيد أن ينكسر
و دمدمت الريح بين الفجاج و فوق الجبال و تحت الشجر
و أطرقت أصغي لقصف الرعود و عزف الرياح و وقع المطر[88]

استعار الشابي من الطبيعة الراسخة في وجدانه مظاهرها بعدما صارت صدى لروحه و أسراره فهي انعكاس لما يدور في عالمه الداخلي فالشاعر و الطبيعة نفس واحدة و الشعور بالثورة و الغضب و التمرد و النقمة هو نفس ما يرمز إليه الرعد و العواصف و الأنواء .
" و كلما توغلنا في ديوان الشابي و معجمه الشعري تعمق لدينا الشعور بالانصهار الكلي في هيكل الطبيعة الأم و كيف استعمل ببراعة يغبط عليها أدواتها و مفرداتها لتصوير ما يجيش في وجدانه من ثورة الشباب و فورته."[89]
الشابي في ثورته و غضبه لم يجد أفضل من جزئيات الطبيعة ليشحنها بقوة هذا الشعور فقد لاحظنا كيف أصبحت الرياح جبارة بعدما بثها الشاعر روحه المتقدة ثورة و غضبا و هذا ينطبق مع مختلف المظاهر الأخرى .
" الحرية هي فعل تقييم و خلق كل غداة ولادة يومية من الذات تعيد تقييم الأشياء و المفاهيم بل أنها هي التي تدفع الإنسان إلى الصمود و المقاومة أمام بواعث الاندثار و الانقراض و العدم فالنصر بالنسبة إلى الشابي ليس عملا حربيا و ليس عملا سياسيا و إنما هو عمل روحي يتحقق في النفس متى أدركت ذاتها و فهمت أسرار الوجود و الطبيعة المستترة على أديم الواقع و برقعه."[90]
الإحساس بالحرية ينجم عنه إدراك الوجود و فهم أسراره و التعايش معه و مع مختلف المظاهر و منها الطبيعة ، و الشعور بالحرية و الانطلاق يبعث في النفس القدرة على الخلق و التجديد .

2 – الغضب الاجتماعي :

---

[85] - عبد السلام المسرى ، قراءات مع الشابي و المتنبي و الجاحظ و ابن خلدون ، ص 56 .
[86] - كاظم حطيط ، أعلام و رواد في الأدب العربي ج 2 ، دار الكتب الحديثة ، ط 1 ، سنة 2003 ، ص 235 .
[87] - ريتا عوض ، أبو القاسم الشابي ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، ط 1 ، سنة 1983 ، ص 41 .
[88] - أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص 167 .
[89] - يوسف عيد ، المدارس الأدبية و مذاهبها ، ج 2 ، ص 972 .
[90] - إيليا الحاوي ، الرومانسية في الشعر الغربي و العربي ، ص 159 .

الوضع السياسي الذي عاشته تونس (الاستعمار) انعكس على مختلف شؤون الحياة الأخرى وبالأخص الجانب الاجتماعي حيث انتشر الجهل و التخلف و سوء المعيشة هذا الوضع أثر في نفسية الشاعر الحساسة فحاول توجيهه و حث الشعب على مواكبة التطور و التقدم .

" لم تكن رومانسية الشابي مغلقة في نطاق ذاته و في عالمه الداخلي و لكنها كانت رومانسية متفتحة على مشاكل قومه و قضايا الوجود الإنساني تلك القضايا التي كان يعيشها بإحساس الفنان الذي يرى نفسه مسؤولا عن الحياة الإنسانية."[91]

ظل الشابي مدافعا عن المظلومين و المقهورين و هو يتصور أنه واحد منهم و حكمته تكمن في صوره الرائعة و دعواته الصريحة في إنقاذ المظلوم التي تفجرت من مواجع الشاعر الروحية و النفسية و الاجتماعية التي انعكست بالسلب على حالته الجسدية .

" أحب الشابي الحياة رغم المرض الذي نغص عليه عيشه ، فرثى لنفسه حين شعر بدنو أجله وحرض أهل شعبه للقيام من رقدته حين رأى الظلام يكتنف وطنه وناصر المظلومين والمقهورين بصرخات متتابعة مدوية فكان شعره صوت كل مظلوم و كان معلما لكل من يسعى للحرية والاستقلال و نبه في قصائد متعددة أن ذلك لا يكون بالأمنيات و لكن بالقوة التي يعتبرها سببا للنصر و قد وضح أنواع القوة و من بينها التخلص من الجهل الذي هو سبب كل تخلف وخنوع"[92].

يا قوم عيني شامت للجهل في الجو نارا
تتلو سحابا ركاما يتلو قتاما مثارا
تلفي الشديد صريعا تبقي الأديب حمارا [93]

رأى الشابي آفة الجهل و مخاطرها على الفرد و المجتمع و بيقظة إحساسه و فطنته حاول توجيه إلى الخطر المحدق به .

و فلسفة الشاعر في جميع صورها ترد إلى رقة إحساسه فهو ما شقي في الحياة إلا برقة إحساسه و يقظة عواطفه و معاناته مصدرها دائما و أبدا قلبه.

" يقول الشابي متحدثا في رسالة من رسائله عن مصدر الألم الرومانسي إن قلبي هو منبع ألامي في هذا العالم ومن يدري ؟

لعله سيكون منبعا لمثل هاته الألام في عالم آخر " [94].

لا نستطيع أن ننكر أن الشابي قد سخط على الحياة و ثار على أشكال الذل و الاستعباد و لكن سخطه لم يكن كرها في الحياة لذاتها و إنما لتلك الصور الأليمة التي شهدها فحاول برقته وحسه المفرط أن يوجه شعبه إلى الرقي و هي رسالة الأديب النبيلة إلى الإنسانية .

" مازلت ذلك الرجل الذي يصغي لقلبه إذا تكلم ، و لروحه إذا ترنم ، ولنفسه إذا تأوهت في سكون الظلام و مازلت ذلك الرجل الذي لا يشغله ضجيج الحياة المادية عن التسمع لصوت الأدب الجميل والتغني بموسيقى هذا الوجود "[95] .

الشابي رغم ألامه و آهاته لم ينس رسالته في الوجود و لم يشغله عن تأديتها مغريات الحياة .

" الطبيعة كانت سخية على الشابي لأنه لم يشخص أمامها شخوصا وصفيا ، شكليا كما أنه لم يتولها بالتحليل و التعليل و المقارنة كما فعل أصحاب البديع و الصنعة و إنما اتصل بروحها وضميرها و سمع همسها المكتوم فكانت الطبيعة في شعره أهم مصدر للحقائق الوجودية والإنسانية " [96]

لا يوجد شاعر مرتبط بالطبيعة كالشابي فقد كانت مرآته العاكسة لأحواله و هو عندما يتحدث عنها لا يصف أشكالها و لا يقف عندها ليحللها بل كانت صدى لنفسه كما كان هو متحدثا بالنيابة عنها .

في الليل ناديت الكواكب ساخطا متأجج الألام و الأراب

---

[91] - خليفة محمد التليسي ، الشابي و جبران ، ص 95 .
[92] - يوسف عطا الطريفي ، أبو القاسم الشابي حياته و شعره ، ص 74.
[93] - أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ،ص 101.
[94] - السعيد الورقي ، لغة الشعر العربي الحديث ، ص 115.
[95] - أبو القاسم محمد كرو ، دراسات عن الشابي ، ص 67.
[96] - أبو القاسم محمد كرو ، دراسات عن الشابي ، ص255.

الحقل يملكه جبابرة الدجى و الروض يسكنه بنو الأرباب
و النهر للغول المقدسة التي لا ترتوي و الغاب للحطاب
الفجر يولد باسما متهللا في الكون بين دجنة و ضباب [97]

يشكو الشاعر المقادر العمياء التي أفرزت الطبقية في المجتمعات فلا عدل في الوجود فالقلة المالكة تسيطر على الكثرة الفقيرة و هذه القلة سيطرت على الخيرات و الثروات و رمز لهذه القلة بجبابرة الدجى و قد رمز للبلاد بالحقل والروض و النهر الذي ينضب .
هذا الوضع أفرز مشاكل جمة في المجتمع و لاحظ الشابي تقاعس المسؤولين عن القيام بدورهم وواجبهم فاتهمهم لأنهم طرف في تفشي الآفات و انتشارها .

سكتم حماة الدين سكتة واجم و نمتم بملء الجفن و السيل داهم
سكتم و قد شمتم ظلاما غضونه علائم كفر ثائر و معالم
أفيقو فليل النوم و لى شبابه و لاحت للألاء الصباح علائم [98]

يعبر الشابي عن غضبه من شعبه الذي يعيش على أمجاد أسلافه فغاب عنه شوق الحياة والعزيمة فهو شعب عجوز صامت و بالأحرى هو ميت .

أي عيش هذا و أي حياة رب عيش أخف منه الحمام
آه بل أنت في الشعوب عجوز فيلسوف محطم في إهابة
مات شوق الشباب في قلبه الفاوى و عزم الحياة في أعصابه [99]

يواصل الشاعر غضبه اتجاه شعبه محاولا أن يستحث الشعب و يدفعه إلى الثورة على الأوضاع المتردية التي يعيش فيها. الشعور بالغضب ممزوج بمظاهر الطبيعة فكل حالة شعورية مر بها الشاعر إلا و الطبيعة حاضرة جلية فيها ، الشابي مرهف الإحساس رومانسي إلى أقصى الأبعاد لم يتحمل أن يشاهد شعبه يحيا في ظروف سيئة و غيره يحيا في تطور و ازدهار ، و عندما أبى هذا الشعب الاستماع لم يجد صدر أحن عليه من الطبيعة فهي صدى لنفسه الثائرة بجبالها وبراكينها و زوابعها و أنوائها و ثلوجها و عواصفها .

الفصل الثالث

- النظرة التقديسية للغاب :

كان شعراء الرومانسية في الغرب يهيمون بالطبيعة ، و يرتمون بين أحضانها ، لاجئين إليها محاولين العثور على الطمأنينة و الهدوء و البحث عن الأمن بين ربوعها مبتعدين بذلك عن العالم المادي ، وعالم المدينة على وجه التحديد هاربين من شرور هذا العالم إلى صفاء الطبيعة ونقائها"[100] .
يمثل الغاب عند الشابي الملجأ لأماله و أحلامه و هو يرى في مظاهر الطبيعة صدى لروحه ، ومن هنا جاءت هذه النظرة التقديسية للغاب ففيه الفضاء الرحب و السكينة الأبدية ، و فيه توجد الطيور المغردة .
اختار الشاعر حياة الغاب لأنها أرحم من الحياة وسط مجتمع لا يقدره، و تمنى العيش وحيدا منفردا في الجبال والغابات.

ليت لي أن أعيش في هذه الدن يا سعيدا بوحدتي و انفرادي
ليس لي من شواغل العيش ما يص رف نفسي عن استماع فؤادي
عيشة للجمال و للفن أبغ ها بعيدا عن أمتي و بلادي [101]

---

[97] - أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص 158.
[98] - مجيد طراد ، ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله ، ص 161.
[99] - أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص 175.

[100] - أحمد عوين الطبيعة الرومانسية في الشعر العربي الحديث، ص 108.
[101] - أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص 114.

انطوى الشابي على نفسه و انعزل عن مجتمعه فارا منه إلى أحضان الطبيعة و قد أشار يونغ إلى الشخصية المنطوية عندما قال " المنطوي يكون أكثر ميلا إلى التأمل و الانبساط و مقاومة التأثيرات الخارجية و قليل الثقة بالعلاقات مع الآخرين و مع العالم الخارجي بالإضافة إلى ميله إلى الانسحاب الاجتماعي و إتصافه بالخجل " [102] .

وجد الشابي في الغاب راحته النفسية التي يصبو إليها ، بالإضافة إلى عالمه الجميل النقي ، كما وجد خلاصه الروحي ، لذلك فهو يعيش بخياله و حواسه و مشاعره كلها في الطبيعة و يستمد صوره الفنية منها .

" الشابي شاعر من طراز روسو و بيرون و شاتو بريان يرى الطبيعة مأوى و مسكنا لروحه ، ومشاعره التي تأذت و تألمت ، فإذا تغنى بالطبيعة فإنما يتغنى بمظاهرها العامة ، بجبالها

و أوديتها و أشجارها و أزهارها ، وهو إذا قدس الطبيعة فإنما يقدس فيها هذا الجانب الذي كنى عنه روسو بجمال المقفرة الخالية و سحرها ، وهو إذا أوى إلى أحضان الطبيعة إنما يفعل هذا زاهدا في دنيا الإنسان و هروبا بمشاعره من أن تصطدم بحياة اليوم العادي "[103].

الغاب عند الشابي حيز منطلق لدنيا كلها فرح و حبور ، و إحساسه بالغاب يجعل منه عالمه المثالي الكامل الذي يعوضه عن عالم الواقع المليء بالأحزان .

فكل المعاني التي فقدها في الحياة العادية ، وجدها في الغاب : الجمال ، السرور و السعادة

و الحب ، فهو القائل : " أما أحسستم إذ ذاك ، و أنتم بين أحضان الطبيعة ، بذلك الشعور القوي الغامض الثمل يستحوذ على مشاعركم ، ويستولي على نفوسكم ، فيجعلها أدنى إلى الخلود ، منها إلى هذا العالم الفاني " .

تمنح الغاب الشابي شعور و إحساس غريب لم يعرفه من قبل في دينا الناس ، ولفرط غموضه لم يستطع أن يسميه ، وبهذا الشعور الذي تولد عنده سما بنفسه إلى عالم الجمال و المثل ، تاركا وراءه واقعه المر .

بيت بنته لي الحياة من الشذى و الظل و الأضواء و الأنعام
بيت من السحر الجميل مشيد للحب و الأحلام و الإلهام
في الغاب سحر رائع متجدد باق على الأيام و الأعوام [104]

على ضوء حديث الغاب ، ينطلق الشاعر في رومانسية جادة و مؤثرة ، منغمسا في وجدان الطبيعة ، مذيبا كل الفواصل و الحدود بينه و بينها ، و حفلت بذلك قصائده بعنصر الطبيعة ، التي جسدت : العودة إلى عالم الطهر و النقاء ، بعيدا عن الزيف و النفاق ، و كذا العودة إلى الأصل " [105].

سيطرت الطبيعة بصورها و ألوانها على نفس الشابي ، فتلونت في قصائده ، الأشجار والأزهار، و الليالي و السماء و الينابيع ، حسب انفعالاته و شعوره .

" قادت خياله المتوقد ، و حسه المرهف إلى معابد الطبيعة الساحرة ، حيث أسمعته أغانيها الحلوة الناعمة ، و كشفت له عن مواطن الجمال ، و الفتنة العارمة في نفسها و أطعمته ثمارها المسحورة ، و أسكرته رحيق أزهارها و ورودها ، فإذا هو ثمل بخمرة الجمال ، و فتنة الوجود"[106].

لهذا جاءت تجربته الشعرية ثرية جدا ، بعنصر الطبيعة و الشاعر أعطاها معنى إنساني ، فنطقت بلسانه و عبرت عن عواطفه ، و أفكاره و نفسه ، فهي مستودع أحاسيسه .

و تعتبر قصيدة أغاني الرعاة ، أروع صورة لحياة الريف و فيها يتجلى حبه ، و تقديسه للغاب ، حيث يقول :

أقبل الصبح يغني للحياة الناعسة
و الربى تحلم في ظل الغصون المائسة
و الصبا ترقص أوراق الزهور اليابسة

---

[102] ـ محمد ربيع شحاتة ، تاريخ علم النفس و مدارسه ، ص 294.
[103] ـ أبو القاسم محمد كرو ، دراسات عن الشابي ، ص 193
[104] ـ أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص 188.
[105] ـ بن يحي عباس ، مسار الشعر العربي الحديث و المعاصر ، دار الهدى الجزائر ، 2004 ، ص 102.
[106] ـ أبو القاسم محمد كرو ، الشاي حياته و شعره ، ص 98.

و تهادى النور في تلك الفجاج الدامسة [107].

يظهر هنا إحساس الشاعر القوي بالطبيعة ، حتى تصير إنسانا يشاركه إحساسه ، ويبادله الشعور بأفراح الحياة ، و يبث في الطبيعة الحياة ، فنرى الصبح يقبل و الربى تحلم و الأزهار، والأوراق ترقص .

" هنا يسبغ الشاعر صور الفرح على كل ما هو حوله ، فينعكس هذا الفرح على الطبيعة ، فيغني الصبح ، و تتمايل الغصون و يتهادى النور ، و يتمطى الزهر و الطير و الموج " [108].

هكذا اختار الشابي حياة الغاب ، لما تنطوي عليه من جمال ، و سكون و صور و مناظر ، يحلم بها في الحياة ، ويحملها على الدوام في قلبه .

و بعيدا هناك في معبد الغاب الذي لا يظله أي بؤس
في ظلال الصنوبر الحلو و الزيتون يقضي الحياة حرسا بحرس
في الصباح الجميل يشد و مع الطير و يمشي في نشوة المتحسي
نافخا نايه حواليه تهتز ورود الربيع من كل قنس [109]

يقدس الشاعر حياته في الغاب، وسط الأشجار و الطيور و الورود فكل دقيقة تمر عليه هناك ثمينة ، يتوجب عليه استغلالها ،لأنها تحمل النشوة و السرور .

" الشابي يبتني بيتا بين أحضان الطبيعة ، بالوهم و هناك طهر مشاعره ، من لعنتها و خلع مسوح الحزن ، و صار كاهن الفرح ، بعد أن كان كاهن الأحزان ، و تلك لحظات تفاؤلية ، من أحوال اللبس التي كانت تعتري الشابي في تقلبه بين أكف القدر "[110] .

صور الشاعر من خلال الغاب، إحساسه المليء بالتفاؤل و الأمل، فانعكس هذا الشعور على مظاهر الطبيعة، وجاءت صورا تنبض بالحياة، و الشروق، و هذا عكس ما لمسناه في أشعاره سابقا.

عندما ألبس الطبيعة لون نفسيته الحزينة ، فجاءت صورا متشائمة كئيبة .

" يتعبد الشاعر في محراب الطبيعة ، محاولا أن يكتشف سر نفسه و سر العالم ، لتتم له المشاهدة ، و يسفر وجهه اليقين فاعتزل الشابي هو اعتزال و تأمل و معرفة ، به يغذي روحه ، و يتغذى منها ، و يرتفع عن حياة العامة ، والشعب ممن لم تنزل عليهم نعمة الروح ، فدأبوا على إشباع غرائزهم و الاستسلام لجهلهم " [111].

أدرك الشاعر السعادة وسط الغاب ، فتمتع بكل مظهر و حركة و لون ، وصوت يجول في الطبيعة ، فالطبيعة عند الشابي غاية بذاتها ، لا توجد سعادة قبلها و لا بعدها ، فهي روح الإله في الوجود .

2- تجربة الحب:

إضافة إلى الرؤية التقديسية للغاب، ولجوء الشاعر إليه كان لجوئه أيضا، اتجاه الحب وارتبط هذا الأخير بالطبيعة أيضا.

" و قد ورد الحب بمعنى الوداد ، و الميل إلى شخص معين أو إلى شيء ، وجاء في تراكيب حقيقية و مجازية ، ولم يخرج عن معناه المعجمي ، وهو يمثل سر السعادة و إكمال التآلف في الكون "[112].

من المعروف أن الشابي مر بتجربة الحب ، في صغره و لكنه خلق في نفسه مرارة و حسرة ، بسبب موت الحبيبة ، و بعد فترة تزوج الشابي ورزق أولاد ، و معظم النقاد قالوا أنه لم يتزوج عن حب ، بل تزوج إرضاء لأبيه لكن في شعره نجده يتغنى بمحبوبته ، و يصف خلوته بها فمن تكون امرأة الشابي ؟

---

[107] - أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص 152.
[108] - رتيا عوض أبو القاسم الشابي ، ص 38.
[109] - أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص102.
[110] - اليا الحاوي الرومنسية في الشعر الغربي و العربي ، ص 77.
[111] - أبو القاسم محمد كرو ، دراسات عن الشابي ، ص 258.
[112] - فريد عوض حيدر ، شعر أبي القاسم الشابي ، مكتبة زهراء الشرق القاهرة ، 2002 ، ص 65.

فامرأة الشابي المثالية ، تتكون من الأحلام و الأطياف و الزهور ، و هي ليست من جسد بل من روح شفافة ، و الزهور و هي ليست مزيجا من الخير و الشر ، و لكنها خير مطلق و صفاء مطلق ، وحبها ليس حبا حسيا ، بل إنه لا يختلط أبدا ، بأي معنى من معاني الحس ، إنه حب روحي شفاف ، يسمو فوق نداء الغريزة ، و يختلف عن ذلك الحب العادي ، الذي يعرفه الناس[113].

أنظر ما يقوله في التشبيب ، و هو في غمرة من الحب و النشوى و الاندفاع .

أنت أنت الحياة في قدسها السامي و في سحرها الشجي الوليد
أنت أنت الحياة في رقة الفجر و في رونق الربيع الوليد
أنت أنت الحياة كل أوان في رواء من الشباب جديد [114].

يمزج الشابي بين محبوبته و بين مظاهر الطبيعة ، حتى يصعب علينا أن نفصل بين صفات الحبيبة و صفات الطبيعة ، فالشاعر بث شعوره بالحب و النشوى ، في مظاهر الكون ، و قد تكفلت الطبيعة بإبراز هذه المشاعر .

" شعره ترجمان لما يجول في ذلك الخاطر القوي الجبار من تصور دنيا جديدة ، دنيا بعيدة عن دنيانا ، دنيا أقرب إلى دنيا الخيال ، منها إلى دنيا الواقع ، فهو إذا تصور الحب ، لا يتصوره بين السحاب أو في الأودية ، القمر و لكنه يتصوره في عالمنا ، عالمنا النقي الذي خلص من كل الرذائل ، و تحرر من كل الشهوات و لم يبق فيه إلا الحب يسود و يتحكم "[115].

قدم الشاعر صوره الشعرية في أسلوب جميل ، اختلطت فيه مشاعره بمظاهر الكون ، و هو أسلوب خاص به ، ويتميز به على مختلف الشعراء ، و استعار الشابي صور الطبيعة ليصف بها الحبيبة مثل : الصباح الجديد و السماء، الليلة القمراء و الورد وروح الربيع .

" المرأة كالطفولة و كالأحلام و كاللحن و كالصباح و كالسماء و كالليلة و كالورد و كابتسام الوليد و بدل أن يبدع الشاعر صورا قائمة بذاتها و موحية يخاطب المرأة ، مقرر أنها الحياة متجلية في صور الطبيعة الجميلة " [116] .

الحب عند الشاعر مقدس ، فهو الوحيد الطاهر في الدنيا لم تلوثه يد الإنسان ، و يغدو الحب عنده طائرا روحيا ، يسمو بالمحب إلى سموات بعيدة .

" الحب عنده يسمو في نفسه إلى حد القداسة ، لا تتنازعه شهوة ، بل يقتصر على النشوة ، يستمده من المرأة و الطبيعة ، فالحب عنده كمال الطبيعة و النفس ، وهو الزهرة المتفتحة ، وهو النسمة التي يتضوع منها العبير ، و هو الجمال و الخير و الفن ، وهو يستدعيه ليدرك به سعادته "[117] .

يمجد الشاعر في ديوان " أغاني الحياة " الحب ، الذي يعد نعمة من السماء ، و شعلة أضاءت كل ما في الكون ، إنه روح من الإله ، إنه سر الحياة ، و نغمها و خمرتها إنه غاية الحياة والوجود .

" و القصائد التي كتب فيها الشابي عن المرأة كثيرة ، وهو في قصائده يضفي عليها صفات روحانية ، فيخرجها من إطارها الواقعي ، إلى إطار جديد تغدو فيه ملاكا " [118].

يقول في إحدى قصائده التي يمزج فيها مشاعر الحب باستلهام الطبيعة :

يا ابنة النور إنني أنا وحدي — من رأى فيك روعة المعبود
فدعيني أعيش في ظلك العذب — و في قرب حسنك المشهود
عيشة للجمال و الفن و الإلهام — و الطهر و السنى و السجود
و امنحيني السلام و الفرح الرو — حي يا ضوء فجري المنشود [119].

---

[113] - رجاء نقاش ، أبو القاسم الشابي شاعر الحب و الثورة ، دار الكتاب اللبناني ، ط3 ، 1975 ، ص 45.
[114] - أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص121.
[115] - أبو القاسم محمد كرو ، دراسات عن الشابي ، ص 198.
[116] - أبو القاسم الشابي ، رتيا عوض ، ص35.
[117] - يوسف عطا الطريفي ، أبو القاسم الشابي ، ص 77.
[118] - إبراهيم خليل ، مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث ، ص 178.
[119] - أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص122.

يخاطب الشاعر في هذا المقطع حبيبته، و اسما إياها بابنة النور، لمحاسنها و طهرها، متضرعا إليها أن تدعه يعيش بقربها ، متأملا جمالها ، مستلهما الطهر و الرفعة ، متوسلا إياها أن تمنحه السلام ، و في حديثه معها لا ينسى أن يصفها و يشبهها بالطبيعة ، ومن هذه الصفات الظل ، الضوء ، الفجر .
شعر الشابي صادر عن نفس محرومة ، و من خلال شعره يبحث عمن تنقده من آلامه ، ورتابة أيامه المملة ، فهو لا يتغنى بامرأة معينة ، بل بامرأة كمثل أعلى .
" الرومانسي قلما يعشق امرأة من لحم و دم ، فالمرأة التي يحبها تفد من غيب ، لذلك كانت الحبيبة التي تغنى بها الشابي امرأة لا اسم لها و لا هوية ، و ليست معروفة في بيئته و بين صحبه ، إنه هو الذي ابتدعها من أحلامه ، كسائر الرومانسيين و تعبد لها في محراب ذاته ، ومحراب الطبيعة " [120].
من خلال تصفحنا لقصائد الحب في ديوان " أغاني الحياة " لا نستطيع تصور امرأة بقدر ما تصور هذه القصائد نفسه و نزوعه إلى الحب البريء الطاهر .

ليتني كنت زهرة تتثنى بين طيات شعرك المصقول
أو فراشا أحوم حوليك مسحورا غريقا في نشوتي و ذهولي
أو غصونا أحنو عليك بأوراقي حنو المدلة المتبول
أو نسيما أضم صدرك في رفق إلى صدري الخفوق النحيل [121]

الحب في شعر الشابي عذري ، حب أحلام و أماني ، وهو يتحدث عن الحب في توحد الوجود ، و ائتلاف عناصر الحياة ، من جمال و سعادة و امرأة و طبيعة .
و قصيدة (الساحرة) وصف للقاء جرى بينه و بين امرأة تشكل هذه القصيدة قصة متكاملة لما تحتوي عليه من السرد و الوصف و الحوار [122].

راعاها منه صوته ووجومه و شجاها شحوبه و سهومه
فأمرت كفا على شعره العا ري يرفق كأنها ستنيمه
و أطلت بوجهها الباسم الحل و على خده و قالت تلومه
خل عبء الحياة عنك و هيا بمحيا كالصبح طلق أديمه
و احتضني فإنني لك حتى يتوارى هذا الدجى و نجومه
و اقطف الورد من خدودي وجيدي و نهودي وافعل به ما ترومه
و التقت عندها الشفاه و غنت قبل أجفلت لديها همومه [123] .

الشابي في قصيدته هذه ينشد المثال الذي لم يوفره له المجتمع ، و يتشوق في شعره إلى امرأة ترضي طموحه و تشبع روحه .
هذه المرأة تحتل من قلب الشاعر المكان الذي احتلته بياتريس من قلب دانتي ، الذي يقول فيه يابيني " إن حاجته دانتي إلى عبارة مخلوق كامل ، ناجمة عن روحه الحساسة ، فلقد كان عصره حافلا بصور الشر ، كما كانت مدينته غارقة في ألوان من الحروب المبيدة ، فكان يلتمس لنفسه مهربا من هذا العالم الفاسد ، الغارق في الرذيلة ، فلم يجد إلا هذا النموذج الذي أبدعه خياله ، نموذج ملائكي يوحي بالرقة ، بمنحه العطف في عالم محفوف بالخراب .[124]
و مثل هذا الاتجاه نجده في قصائد الشابي على نحو صلوات في هيكل الحب ، و نموذج المرأة الذي تعلق به الشابي هو الذي نجده عند أدباء النزعة الرومانطيقية ، طهر و عفة و جمال و رقة سماوية .

ها هنا في خمائل الغاب تحت الز ان و السنديان و الزيتون
ما أرق الشباب في جسمك الفض ض و في جيدك البديع الثمين
أنت أشهى من الحياة و أبهى من جمال الطبيعة الميمون
و سكرنا هناك في عالم الأح لام تحت السماء تحت الغصون

---

120 ـ اليا الحاوي ، الرومانسية في الشعر الغربي و العربي ، ص191.
121 ـ أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص 162.
122 ـ مجيد طراد ، ديوان أبي القاسم الشابي و رسائله ، ص 20.
123 ـ أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص144
124 ـ خليفة محمد التلبسي ، الشابي و جبران ، ص 121 .

و سنينا الحياة و الموت و الكو ن و ما فيه من منى و منون [125]

يتيه الشاعر هنا بحب امرأة أحبها كل الحب ، و قد أسرت قلبه ، فهي في نظره أحلى من في الحياة و يلجأ الشابي إلى الطبيعة ، بألوانها و أشكالها ليعبر عن حبه ، برومانسية يبث فيها أشواقه و أحلامه في عالم متحرر من القيود و المرض .

و الشاعر في وصفه عالم الحب ، يسير ليصف الطبيعة بمعبد الحب فيقول :

معبد للجمال و الحب شعريا مشيدا على فجاج السنين
تحته يزخر الزمان و يجري صامتا في سبيله المخزون
و تمر الأيام و الحزن و الموت بعيدا عن ظله المأمون[126]

هام الشابي بحب المرأة و الطبيعة ، و دمج بينهما في كثير من قصائده ، و كلا من الطبيعة و المرأة امتزجتا بوجدان الشاعر امتزاجا يكاد يتحد فيه الوجود الخارجي بالوجود الداخلي .

" فإذا كان الحب صلاة ، فان الطبيعة معبد يؤدي فيه المحبوب طقوسهم و قد أضفى الرومانسيون على هذا المعبد إجلالا و قدسية ، وفي هذا الصدد نجد " لامرتين " يقول : إن الطبيعة أكبر قساوسة الله و أمهر مصوريه."[127]

تستنتج من كل ما سبق أن الشاعر وظف مختلف مظاهر الطبيعة ليعبر عن الحب ، و هذا يدل على استغراق الشابي في الطبيعة ، و هذه الأخيرة تترجم حالته النفسية ، و مدى حبه و شغفه بمحبوبته ، لذلك أسقط الطبيعة عليها ، محاولا أن يلون حبه بألوان الطبيعة ، و يمزجه بظلالها، و الطبيعة ملاذ المحبين و ملجأ العاشقين .

الطبيعة في نظر الشابي هي الكمال الذي يحلم به و الحنان الذي لم يجده في المجتمع .

---

[125] - أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص 181 .

[126] - نفسه ، ص 181 .

[127] - أبو القاسم الشابي ، الخيال الشعري عند العرب ، الدار التونسية ، ط$_2$ ، 1983 ، ص 65 .

خاتمة:

شعر الشابي ترجمة للنفس ، و ما يعتمل بداخلها في سهولة و سلاسة ، بحيث إذا تأملت قصيدة من قصائده وجدتها تلتقي مع البساطة ، و كانت هذه الأشعار في إطار التجارب التي مر بها الشاعر مثل : الكآبة و مرارة الموت و الانحطاط الاجتماعي ، بالإضافة إلى التمرد و الغضب السياسي و التأمل الكوني و الحب .

و ليس في تاريخ الشعر العربي فتى عبر عن حياته بصدق ، و تمثل ما يجول في كيانه الداخلي و الخارجي مثل أبي القاسم الشابي ، فهو لم يتعمد قط أن يكون شاعرا ، و إنما ساقته تجاربه سوقا نحو هذا الفن ، و هي التي ألهمته كل ما قاله و يظهر حبه العميق للطبيعة على سطح كل بيت شعري .

و يمكن القول أن الشابي استطاع الخروج عن التقليد الذي كان شائعا من قبل في تصوير الطبيعة ، فقد أضفى على هذا التصوير الحيوية و النشاط ، بحيث أصبحت الطبيعة وسيلة لا غاية ، أي أنها وسيلة لتعبير عن ما هو مكنون و مكبوت .

قائمة المصادر و المراجع :

أ- المصادر:

1- أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، منشورات دار الكتب الشرقية تونس ، ط1.
2- أبو القاسم الشابي ، الخيال الشعري عند العرب ، الدار التونسية ، ط2 ، 1983.
3- أبو القاسم الشابي ، الأعمال الكاملة ، الجزء الأول و الثاني ، الدار التونسية للنشر .

ب- المراجع:

1- أبو القاسم محمد كرو ، الشابي حياته و شعره ، منشورات دار المكتبة لبنان ، ط5 ، 1971.
2- أبو القاسم محمد كرو ، دراسات عن الشابي ، الدار العربية للكتاب ، 1984.
3- أحمد حيدوش ، الاتجاه النفسي في النقد العربي الحديث ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر .
4- أحمد عوين ، الطبيعة الرومانسية في الشعر العربي الحديث ، دار الوفاء الإسكندرية ، ط1 ، 2001.
5- أحمد كمال زكي ، النقد الأدبي الحديث أصوله و اتجاهاته ، مكتبة لبنان ، ط1 ، 1997.
6- ابراهيم خليل ، مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث ، دار المسيرة الأردن ، ط1 ، 2003.
7- ابراهيم عبد الرحمن ، الادب المقارن بين النظرية و التطبيق ، الشلركة المصرية للنشر ، ط1 ، 2000.
8- ايليا الحاوي ، الرومنسية بين الأدب الغربي و العربي ، دار الثقافة لبنان ، ط2 ، 2003.
9- بن يحي عباس، مسار الشعر العربي الحديث و المعاصر، دار الهدى الجزائر، 2004.
10- حلمي مرزوق، تطور النقد و الفكر الأدبي الحديث في الربع الأول من القرن العشرين دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر.
11- حمدي الشيخ، جدلية الرومانسية و الواقعية في الشعر المعاصر، ط1، 2005.
12- جبور عبد النور ، المعجم الأدبي ، دار العلم للملايين لبنان ، ط1 ، 1979.
13- خليفة محمد التليسي ، الشابي و جبران ، الدار العربية للكتاب ، ط5 ، 1984.
14- ربيع محمد شحاتة ، تاريخ علم النفس و أدبه ، دار غريب القاهرة ، 2004.
15- رجاء نقاش ، أبو القاسم الشابي شاعر الحب و الثورة ، دار الكتاب اللبناني ، ط3 ، 1975.
16- ريتا عوض ، أبو القاسم الشابي ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، ط1 ، 1983.
17- سعيد الورقي ، لغة الشعر العربي الحديث ، دار المعرفة للطباعة و النشر .
18- سلام محمد زغلول، النقد الأدبي الحديث أصوله و اتجاهات رواده، منشأة المعرف الإسكندرية.
19- سهام خرفي ، أبو القاسم الشابي شاعر القلب و الاحزان ، دار قرطبة للنشر الجزائر ، ط1، 2005.
20- عبد السلام المسدي ، قراءات مع الشابي و المتنبي و الجاحظ و ابن خلدون ، الشركة التونسية للتوزيع ، 1984.
21- عبد العاطي شلبي ، فنون الأدب الحديث بين الأدب العربي و الأدب الغربي ، المكتب الجامعي مصر ، ط1 ، 2005.
22- عبد اللطيف شرارة ، الشابي ، دار بيروت للطباعة و النشر ، 1989.
23- عبد المجيد الحر ، أبو القاسم الشابي أعطى الحياة إرادتها و أخذ منها حزنها و كآبتها ، دار الفكر العربي لبنان ،ط1 ، 1994.
24- عز الدين اسماعيل ، التفسير النفسي للادب ، مكتبة غريب ،ط4 .
25- عزت محمد جاد ، نظرية المصطلح النقدي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2001.
26- فايز ترحيني ، الدراما و مذاهب الأدب ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر لبنان ، ط1، 1988.
27- فريد عوض حيدر ، شعر أبي القاسم الشابي ، مكتبة زهراء الشرق القاهرة ، 2002.
28-كاظم حطيط ، أعلام ورواد في الأدب العربي ج2 ، مكتبة الدار العربية للكتاب القاهرة ، ط1 ، 2003.
29- محمد أحمد ربيع ، في تاريخ الأدب العربي الحديث ، دار الفكر الأردن ، ط2 ، 2006.
30- محمد فريد غازي ، الشابي من خلال يومياته ، الدار التونسية للنشر ، 1995 .
31- محمود الربيعي، في نقد الشعر، دار غريب القاهرة.
32- مجدي وهبة، معجم المصطلحات العربية في الأدب، مكتبة لبنان، 1984.
33- مجيد طراد ، ديوان أبي القاسم الشابي و رسائله ، دار الكتاب العربي لبنان ، 2006.
34- نذير العظمة، التغريب و التأصيل في الشعر العربي الحديث، سوريا، ط1، 1999.

35- هلال محمد غنيمي ، الأدب المقارن ، نهضة مصر للطباعة ، 2001.
.36- يوسف عطا الطريفي ، أبو القاسم الشابي حياته و شعره ، الأهلية للنشر و التوزيع ، ط1 ، 2009
.37- يوسف عيد، المدارس الأدبية و مذاهبها القسم النظري، دار الفكر اللبناني، ط1، 1994
38- يوسف و غليسي ، مناهج النقد الأدبي ، جسور للنشر و التوزيع الجزائر ، ط1 ، 2007.

فهرس الموضوعات :

- مقدمة
- تمهيد ص4
الفصل الأول : الطبيعة المثقلة بالألم و الكآبة
1- مرارة الموت.....ص15
2- الكآبة المجهولة.....ص19
الفصل الثاني: الطبيعة المشحونة بالغضب و التحدي
1- التمرد السياسي.....ص28
2- الغضب الاجتماعي.....ص33
الفصل الثالث : الطبيعة المفعمة بالتفاؤل و الإشراق
1- الرؤية التقديسية للغاب ص39
2- تجربة الحب ص42
خاتمة ص49
قائمة المصادر و المراجع